الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد ادبي حديث ومعاصر

رمز المذكرة: .....

الموضوع:

بنية المكان والنسق الاجتماعي في شعر الأمير عبد القادر

إعداد الطالبتين:

* بوجمعة يسرى
* بوحفنة إلهام

إشراف الأستاذ

السيد: بن عزة عبد القادر

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	طيبي حرة	رئيسا
أ.الدكتور	حفيظة سليماني	ممتحنا
أ.الدكتور	بن عزة عبد القادر	مشرفا مقررا

العام الجامعي: 1444 هـ - 1445 هـ / 2023 م - 2024 م

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن

تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

سورة النساء الآية رقم 13

اللهم إنا نسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا

شكر وعرفان

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾

نحمد الله الذي وفقا وأعاننا على أداء هذا الواجب، وإنجاز هذا العمل

نتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان لكل من أسهم في هذا البحث ولو بفكرة بسيطة

الشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف بن عزة عبد القادر

الى اللجنة المناقشة بارك الله فيهم وجزاهم كل خير

إلى كل يد رافقتنا في هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد

الشكر موصول إلى أوليائنا الذين سهروا على أن يقدموا كل الظروف الملائمة لإنجاز هذا العمل

إلى منارة العلم والعلماء، إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

أساتذتنا الأفاضل وجميع المؤطرين وعمال قسم الآداب واللغات الذين قدموا يد المساعدة

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها، وها أنا أختم بحثي بكل همة، اقف على عتبة تخرجي بكل فخر فلولا فضل الله ما كنت لأفعل

فاللهم لك الحمد عند البدء وعند الختام

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل **والدي عزيزي**، عزتي وعزّي، ملجئ بعد الله طاب بك العمر يا سيد الرجال وطبت لي عمرا يا أبي

إلى من علمتني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة

الى من جعل الله الجنة تحت اقدامها الى العظيمة **أمي حفظها الله وبارك في عمرها**

إلى من هم لي سندا عظيما في دنياي، إلى الذين لا يعوضون بأي ثمن

إخوتي: مصطفى، زهرة، لويزة، محمد، دعاء وأمين

أدامكم الله ورعاكم

وأخيرا من قال أنا لها "نالها" وأنا لها إن أبت رغما عنها أتيت بها

الطالبة: بوجمعة يسرى

إهداء

إلى الوالدين الكريمين، أهدي هذا البحث من ثمار غرسهما وتشجيعهما

إلى من دامت لي أياديهم وقت ضعفي إخوتي (**سماح، بلخير، جنى)**

إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث

إلى كل من أفادني ووجهني ولو بالكلمة الطيبة

الطالبة: بوحفنة إلهام

مقدمة

مقدمة:

تعتبر شخصية الأمير عبد القادر شخصية بارزة تاريخيا، بحيث وضع بصمته في ردع الاستعمار، كافح وناضل من أجل الجزائر بفضل ثقافته الواسعة وذكاءه الذي كان من المرتكزات الأساسية لبناء وتنظيم دولته وحمى أبناء بلده وكذا أبناء من غير دينه لنرى الفارق العظيم بينه وبينهم، حتى وإن زالت صورته الجسدية فإن روحه الخالدة، ما زالت باقية فينا، تشجعنا، وتتجسد في قلب كل جزائري بخاصة، وفي صدر كل عربي بعامة، وسيلاقي المستعمرون في صمودنا، ما لا قوة منه في البقاء على نفس ما كان عليه، وحتى تكون كلمة العروبة هي الخالدة وكلمة الله هي العليا.

يتناول هذا البحث بين فصلين تمحور حول بنية المكان والنسق الاجتماعي في شعر الأمير عبد القادر حيث يدرس بنية المكان والنسق الاجتماعي وقدرة الشاعر على توظيفهما وإسقاطهما في شعره، فيمكننا أن نعتبر بنية المكان والنسق الاجتماعي عناصر مهمة في الشعر فبنية المكان تتعلق بوصف المكان الذي يحدث في الشعر سواء كان ذلك المكان حقيقيا أو خياليا فإنه يعمل على وصف وإيصال الجملة والمشاعر المراد توصيلها عن طريق الصورة الفنية الشعرية أما نسق الاجتماعي فهو يشير إلى ترتيب وتنظيم اجتماعي للشخصيات والعلاقات البنائية في القصيدة ويتضمن النسق الاجتماعي تصوير الطبقات الاجتماعية المختلفة، والقيم والأعراف التي تسود المجتمع المحمولة في الصور الشعرية، فمن خلالهما يمكن الشاعر أن يعبر عن رؤية العالم وإيصال أفكاره بشكل فني وجمالي وبصورة واقعية يمكن أن يعايشها من تلك الأبيات فقط كما أنهما يؤثران بالثقافة والتاريخ والزمان الذي يعيش فيه الشاعر، ولقد تطرقنا في دراسة لغوية نظرية وتطبيقية تعالج عدّة قضايا ومفاهيم

أهمها: أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبدايته، ووضعية البلاد عند مبايعة الأمير عبد القادر وانتصاراته من جهاد ومقاومة، كما ذكرنا شخصية الأمير عبد القادر وأهم انجازاته السياسية والاجتماعية، الفكرية والأدبية من دون أن نهمش المكانة التي اكتسبها عالميا مع نظرة المستشرقين والأجانب لهذه الشخصية العظيمة التي تركت أثرا عبر أجيال وأجيال، أما بالنسبة للدراسة التطبيقية تناولنا الإشارات المكانية والزمانية مع ذكر الدلالة والبنية والصورة حيث أنها مرتبطة ارتباطا تاما بالمكان في الشعر الأمير عبد القادر وكذلك الصورة الزمانية، كما أضفنا حمولة الأنساق في شعره حيث أنها حمولات متعددة ومختلفة منها: الثقافية، الدينية، الحضارية، الاجتماعية والسياسية.

إن الدافع الذي حفزنا للخوض في مثل هذا الموضوع واختياره لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فمن الأسباب الذاتية:

- حب الاطلاع ودراسة الأبعاد الشخصية الأدبية للأمير عبد القادر والجانب الجهادي والفكري الذي جعله إنسانا عظيما وفخرا للجزائر.

- الرغبة الشخصية الملحة في دراسة شخصيات جزائرية عظيمة وقامة من قامات الجزائر المخلدة بصمة عبر سنوات وسنوات.

ومن الأسباب الموضوعية :

– كان اختيارا وطرحا من الأستاذ المشرف وبتوصية منه علما أنه جعلنا نكتسب عدة مهارات للوصول إلى معلومات ومعارف كما أنه زادنا إفادة وعلما.

ومن الإشكاليات والتساؤلات التي يمكننا طرحها: أنه مثل هذا الشعر نموذجا للشعر العربي والتوجه الإنساني بصفة عامة فبحثنا عن مدى أهمية المكان في هذا الشعر، ولماذا ركز عبد القادر أو أشار في كثير من قصائده إلى المكان؟ فحاولنا البحث في علاقة المكان بالشاعر ولماذا أسقطه في شعره؟ ولكي يتخذ هذا الموضوع صفة رسمية ويتخذ لنا من خلاله الإجابة عن الإشكالية المطروحة سطرنا البحث وفق خطة متبعة تفيدنا بها، والتي لا تخرج عن الموضوع البحث الشاسع الذي تعددت ميادينه ودلالته، استعنا ببعض المصادر والمراجع المحورية لمساعدتنا في انجاز فصول البحث ونذكر منها: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، وديوان الأمير عبد القادر شرح وتحقيق ممدوح حقي إلى غيرها من المصادر التي لا تقل شأنا عن التي ذكرت من عموم المعرفة وزيادة في الرصيد الأدبي.

وقد قسمنا بحثنا إلى فصلين بعد مقدمة، تناولنا في الفصل الأول بصفة عامة حياة الأمير عبد القادر بداية بأوضاع الجزائر قبل مولده، حيث أن تلك الفترة ذات آثار بعيدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذلك لأنها تتأثر بطبيعة الحكم والشخصيات التركية الحكيمة آنذاك، حيث تميزت بنشاط وازدهار في بعض الأحيان والركود والانحطاط أحيانا اخرى ، لكن فور ما استعادت الأيالة قوتها في فترة الداي محمد عثمان بن باشا فقد مكن البلاد أن تتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه في ميزانيته العامة غير أنها استرجعت مكانتها ومهابتها الدولية واستكملت سيادتها الوطنية بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني، ثم انتقلنا إلى أواخر الحكم العثماني بحيث أن أواخر

هذا العهد كان مختلفا تماما ومتغير عن ما كان عنه سابقا فإن هذه المرحلة الأخيرة قد مهدت ودفعت الاستعمار الأوروبي للرجوع المتمثل في أطماع فرنسية وحدث ما حدث،لكن إثر وفاة الشخصيات الثلاثة الحاكمة ساءت الأوضاع الداخلية وفسدت الحالة وصعب الإصلاح لحماية الجزائر من الخطر الخارجي ,وقد كان هذا الأمر هو السبيل لجعل أوروبا تتحالف على حكومتهم والتي تطورت شيئا فشيئا إلى أن ابتلعت البلاد . ومن هذه المنطقة يمكننا الدخول في فترة بداية الاستعمار الفرنسي فحوالي سنة 1827م تجهزت فرنسا بحمالات عسكرية وبحرية نحو الجزائر بهدف حصارها الذي دام 3 سنوات وكان مرادها هو إضعاف القوة الاقتصادية للجزائر والسيطرة عليها، وحدثت أحداث ومذابح قد أدت إلى غضب قادة القبائل الذين عينوا فاضطروا إلى التراجع نهائيا وبهذا إن المهمة المناطة بالأمير الشاب كانت صعبة بالرغم من الحماسة التي تمت بيعته وهنا كانت مبايعة الأمير عبد القادر بأمر من والده وتصويت من كل القبائل الذي لا يمكنه رفضه لأنه الشخص القادر للخوض في هذه المهمة. يعد الأمير عبد القادر من الشخصيات العظيمة فهو المجاهد والمناضل وقائد أمة شاعرا متصوفا عالما أديبا كما أنه رمز للفخر والشجاعة ، وأكبر الأسباب والدلالات التي توضح ذلك هو حفظه للقرآن كاملا في سن صغير، مع دراسته للفقه وأصول الحديث والمصطلح، كما أنه حاد ذكاء عجيب الحافظة ألف كتب معروفة ورسائل مشهورة ولعل "المواقف" أشهر كتبه.

من أهم مراحل حياته حسب ما ذكرنا أنه مر بمراحل أساسية الأولى قضاها في طلب العلم والتعرف على أوضاع البلدان العربية والثانية عاشاها في الجهاد ومقاومة المستعمر، وقضى الثالثة أسيرا في فرنسا

ثم مغتربا في دمشق. نسب إلى الأدارسة الذين يمتد نسبهم إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم والمحيط الديني الذي عاش ونشأ فيه كان له دور كبير في بنائه من دون تهميش دور الأب والأم وفي الأخير تطرقنا إلى تدهور حالته الصحية ثم وفاته ونقل رفاته إلى الجزائر سنة 1966م وكان من قرار الرئيس هوراي بومدين، من أهم ما توصل إليه عبد القادر في سيرته الحياتية هو اكتساب مكانته العالمية لأنه ذو بعد إنساني عالمي نال إعجاب الأعداء ولفت الأنظار وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين والمثقفين يتحدثون عنه وعلى المواقف التي جابهها ,حيث انهم تناولوه في صفحات كتبهم كما أنهم نصبو الكثير من التماثيل له في عدة بلدان أجنبية ومنها عربية كالنرويج، فرنسا، الجزائر وغيرها ... حتى أنهم سمو قرية في أمريكا بالقادر نسبة لاسمه وهذا ما ذكرناه جزءا قليلا من ما هو موجود ومن أبرز ما قيل عن الأمير هو قول القائد سولت «إن الأمير عبد القادر يستحق عن جدارة حق وتقدير قوي لقب العظيم لتخليد ذكراه دوليا» ثم اختتمنا بأهم مؤلفاته. انتقلنا إلى الفصل الثاني فبالنسبة لهذا الفصل كان عبارة عن دراسة تطبيقية في شعر الأمير عبد القادر ومن الأساسيات التي تناولناها هي الإشارات المكانية ، كما ركزنا على الصورة الزمانية ثم تطرقنا إلى حمولة الأنساق بتعددها في شعره ، وأنهينا بحثنا بالخاتمة التي كانت حوصلة على أهم نتائج التي توصلنا إليها. وقد استعنا بآليات المنهج الاجتماعي والتاريخي من شرح وتحليل وتعقيب وما كان لهذا الجهد أن يكتمل بدون توجيهات وإرشادات الأستاذ المشرف عبد القادر بن عزة الذي لم يبخل علينا بمعلومة ولا بسبيل يوصلنا إلى ما نريد الوصول إليه فبارك الله في علمه وجزاه عنا خير الجزاء.

تلمسان في: 2024/05/15

* بوجمعة يسرى

* بوحفنة إلهام

الفصل الأول: حياة الأمير عبد القادر

– أوضاع الجزائر قبل مولد الأمير عبد القادر

إن الجزائر التي كانت تسمى بالمغرب الأوسط هي جزء عضوي في المغرب العربي الذي يمتد من ليبيا إلى المغرب الأقصى، لعب الإسلام دورا أساسيا في تكوين تاريخه التاريخي والثقافي[1].

إن فترة الحكم العثماني بالجزائر التي استمرت ما يزيد من ثلاثة قرون كانت ذات آثار بعيدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والإجتماعية، ذلك أن هذه الأوضاع كانت تتأثر بطبيعة الحكم وكدا بالشخصيات التركية الحاكمة، آنذاك تميزت هذه الأوضاع بالنشاط والازدهار في بعض الأحيان والركود والانحطاط، أحيانا أخرى.

لكن بنهاية القرن السادس عشر، بدأت البلاد تأخذ منعرجا خطيرا حين تفاقمت الاضطرابات والصراعات على الحكم وكثرت المؤامرات والاغتيالات إلى غاية النصف الثاني من القرن 18، ذلك أن حكومة الوجاك كانت تعاني آنذاك من التدهور الذي أصابها والذي كان يزداد شيئا فشيئا، سائر بالأيالة نحو الانحطاط الكامل[2].

غير أن استعادت الأيالة لقوتها في فترة تولي الداي محمد بن عثمان باشا [1766م- 1771م] قد مكن البلاد من أن تتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه في الميزانية العامة، وتسترجع مكانتها ومهابتها الدولية، وتستكمل كذلك سيادتها الوطنية بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني عام 1792م، يعود ذلك إلى السياسة التي درج عليها هذا الداي وكذا الباي محمد الكبير بالغرب

1- عبد القادر بوطالب – الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية – من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، جميع الحقوق محفوظة لمنشورات دحلب، 18 شارع أوزي حيدرة الجزائر، (ينظر لمقدمة الأستاذ أجيرون)، ص 17.

2- محاضرات في تاريخ الجزائر العام، من إعداد فركوس ياسر، جامعة بجاية ,السنة الجامعية 2018-2019، ص 1 (بتصرف).

الجزائري وصالح باي بقسنطينة، حيث كانت تلك الشخصيات الثلاثة على جانب كبير من الحنكة السياسية في تسيير شؤون البلاد والتحكم فيها لكن إثر وفاة هؤلاء بدأت الأوضاع الداخلية تسوء بشكل مهول، واضح من الصعب جدا أمام فساد الحالة أن يحدث الإصلاح أو على لأقل العمل لحماية البلاد من الخطر الخارجي، كل هذه الصراعات على الحكم والتنافس اللا شريف من أجل كسب أموال وثروات بشتى الطرق هو الذي طغى على السياسة التي كان يسلكها بعض الحكام الأتراك وهو كذلك الأمر الذي جعل أوروبا تتحالف للقضاء على حكومتهم.

– أواخر العهد العثماني:

منذ سنة 1791م أخذت بالبلاد تسير نحو التدهور واهتزاز نظام الحكم وانتشار الفوضى وكل هذا ناتج عن تجاوزات الأتراك وعن عزل البايات، وكما كانت القبائل تناجر وتتمرد وكانوا البايات يبذلون كل ما في وسعهم لإشعال نيران الفتنة بينهما ولعل ما يفسر ذلك هو أن السياسة التركية قد اتسمت بالعزلة، وبالرغم من وجود تقارب بين الأتراك الحكام والأواسط الأهلية منذ مطلع القرن 19، إلا أن السلطات الحاكمة تعمل دائما على الفتنة بين العشائر حتى لا تتحد ضدها[3].

كانت الوضعية مأساوية، حيث نشأت كذلك بالبلاد طبقة من الدخلاء غالبيتها من الجالية اليهودية وبدأت تكون لها ثروات ضخمة عن طريق ممارسة الربا والسمسرة ...الخ على حساب الدولة الجزائرية، وهذا ما أدى إلى غضب السكان واندلعت عدة ثورات متتالية في سنوات 1801 1804، 1805، و1815، ونضيف إلى ذلك الحالة الاقتصادية للبلاد أصبحت منذ القرن 18 مقبلة على ضائقة مالية

3- ياسر فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ص 2-3-4.

وانهيار اقتصادي كبير، إذ تعرضت البلاد إلى مجاعات رهيبة متتالية، وإلى انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، ففي مدينة الجزائر مثلا قد هلك ما يناهز عن 13.300 من العباد من 21 جوان 1817 و6 سبتمبر 1818 وهي الفترة التي بلغ فيها المرض درجة خطيرة[4].

لا شك أن دخول الجزائر تحت حكم الأتراك، كان بمثابة انقاد لهذه البلاد من الاحتلال الإسباني وقد تمتعت البلاد في ظل هذا الحكم ولفترة طويلة بمكانة مرموقة وهيبة دولية، إذ توطدت ركائز الحكم وانتشر الأمن بربوع البلاد، لكن نهاية القرن السادس عشر بدأت البلاد تأخذ منعرجا خطيرا فتفاقمت الاضطرابات والصراع على الحكم وكثرت الاغتيالات والمؤامرات[5] كما يجب أن نفرق بين مرحلتين هامتين للعهد العثماني في الجزائر وهما المرحلة الأولى أي مرحلة باي لربيات [1518 - 1587] والتي تعتبر بالنسبة للجزائر ولسائر أقطار المغرب العربي من أغنى وأخصب الفترات سياسيا على الأقل، بحيث استطاع العثمانيون الحفاظ على حدود البلاد بل رسمها نهائيا وفرض وجود الجزائر كدولة ذات سيادة في المنطقة وأيضا على مستويات خارجية هامة، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة نقيضة للأولى، بحيث يمكن القول أنه إذا كانت المرحلة الأولى قد طردت الاستعمار الاسباني من البلاد وبددت أحلامه نهائيا، فإن المرحلة الأخيرة من العهد العثماني قد مهدت لرجوع الاستعمار الأوروبي المتمثل في الأطماع الفرنسية التي تطورت شيئا فشيئا إلى أن ابتلعت البلاد واستحوذت عليها وعلى عبادها[6].

4- ياسر فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ص 4.

5- صالح فركوس – المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين – دار العلوم للنشر والتوزيع، ص 3 .

6- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة "1830-1962"، ديوان المطبوعات الجزائرية، ص 19-20.

إن هذه الظاهرة غير خاصة بالجزائر فقط إنما هي ظاهرة تشترك فيها كل الأقطار التي كانت خاضعة للدولة العثمانية بطريقة أو أخرى وتسير في فلكها مشرقا وغربا ولكن مهما يكن في مسؤولية العثمانيون في تقهقر البلاد، على مستويات عديدة وجعلها عرضة أو فريسة للاستعمار، لا يمكن تسربها ببساطة[7].

– بداية الاستعمار الفرنسي :

في السابع والعشرين من أفريل 1827، بدأت فرنسا للتجهيز الحملة العسكرية البحرية والانطلاق نحو الجزائر بهدف حصارها، هذا الحصار الذي دام 3 سنوات كان الهدف من إضعاف القوة الاقتصادية للجزائر وجس نبض الدول المختلفة من الاحتلال، إن القرار الذي اتخذته فرنسا بغزو البلاد تحت أية ذريعة كانت ليس بمبرر الضعف العسكري الذي آلت إليه [المدينة – الدولة]، كما كانت فرنسا قد بدأت للتجهيز وكانت بحاجة إلى مواد أولية فكانت أبواب العهد الاستعماري تفتح أمامها بواسطة الثورة الصناعية التي كانت ستؤدي إلى زعزعة المجتمع الفرنسي[8].

أما في ما يخص الحالة في الجزائر، فكثير من كتاب "الحوليات" قد أعطى وصنفها بعد دخول القوات الفرنسية وتصرفات المنتصرين، فها هو ذا ما كتبه الأمير محمد في مؤلفه تحفة الزائر : "لقد دكت المنازل في ذلك اليوم ولقى عدد كبير من السكان حتفهم تحت الأنقاض وقد بلغت البلوى ذروتها في مدينة الجزائر التي تملك الهلع سكانها، كما أضافت وقد انتشر بها احتلال الجزائر بكل سرعة". فاهتزت

7– عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 20.

8– عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 32.

له مشارق الأرض ومغاربها واعتبر الحدث نكبة عظيمة، ولو أن حكومة الجزائر كانت قد تهيأت وأعدت العدة للدفاع عن كامل الإقليم، كما أنها لو احتاطت بالإجراءات اللازمة للردع هجوم العدو.

وبعد الانتصار على الجزائر لم تكن الأمور لتقف عند هذا الحد فتحولت الجزائر من حالة إلى حالة أخرى.

يكتب بن أشنهو: "الطرقات لم تكن آمنة، والأشخاص والممتلكات لم تعد في مأمن، كانت القبائل تقاتل فيما بينها، والانتقامات الشخصية تشفي غليلها، فرغت الأسواق عن آخرها، وعجت المدينة باللصوص وقطاع الطرق وأصبح شبح المجاعة يهدد السكان"[9].

9- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، صفحة 36-37.

– الأمير عبد القادر سيرة قائد أمة

*** المولد والنشأة**

هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين ولد في شهر ماي يوم 23 سنة 1807م الموافق لسنة 1222هـ في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة اغريس التي تقع في إقليم وهران الجزائر[10].

أخذ الفقه عن والده وعلماء بلده، تم ارتحل إلى القاعدة "وهران " فاستكمل فيها علمه ودرس الفقه والأصول وعلوم اللغة والحديث والمصطلح، وحفظ قدرًا كثيرًا من صحيح البخاري عن ظاهر قلب وكان يستقيم به، ويقرئه لمريده ويجزيه بقراءاته حتى آخر أيام حياته، وبرع في علوم الشريعة والحقيقة وألف فيها كتابا معروفة، ورسائل مشهورة ولعل "المواقف" أشهر كتبه، وأكثرها عمقا، وغموضا في التصوف والتفسير على قاعدته، كما أنه كان حاد الذكاء، عجيب الحافظة، بارعا في تصريف الأمور شديد التمسك بدينه، حافظ علومه ووعوده[11]، لقد تطور الولد بسرعة فائقة كما أنه ذو شخصية عجيبة تدهش كل من قرأ عنه أو عرفه في عصره، فالملكات العقلية للولد فقد كانت تدل على نبوغ غير عادي، فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وقد أصبح "طالبا" عندما كان في الثانية عشرة، أي أنه في هذه السن كان متمكنا من القرآن والحديث وبعد سنتين حصل على تسمية "حافظ" وذلك يعني أنه أصبح يستطيع ترتيل القران عن ظهر قلب، ففي هذه المرحلة بدأ يعطي

10– شارل هنري تشرشل – حياة الأمير عبد القادر – ترجمة وتحقيق وتقديم أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، ص 61.

11– الأمير عبد القادر الجزائري – الديوان تحقيق وشرح ممدوح حقي، دار الترجمة والنشر – بيروت – الطبعة الثالثة – دار اليقظة العربية، ص 13.

دروسا في جامع الأسرة حيث كان يفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد. لقد كان طموحه الأكبر في شبابه هو أن يصبح [مرابطاً] مثل والده تماما[12].

كما جمعت شخصية الأمير عبد القادر عدة ثقافات وخصائص وصفات ذات مقام عال حيث أنه عرف: مجاهدا كريما، وبطلا هماما، وسياسيا لبقا، ورجل دولة عبقريا ولا ننسى أنه المجاهد والشاعر المتصوف، والمصور العربي، المسلم، الفارس البطل الشجاع، ناصر الدين في نظر والده وأمير المؤمنين في عيون شعبه، حيث أن "ممدوح حقي" عرفه في ديوانه قائلاً : "فهو عربي صميم صحيح العروبة، متدين، شديد التمسك بدينه[13] عميق الإيمان بربه، كبير الأمل بمستقبل الإسلام والمسلمين" وكان في مبدأ صباه يشب شباباً لم يشبه أهل زمانه ومن ذو كان في حال طفولته يتخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة، كما استجمع خصال الكبار المكلين من أحوال ديانته كالمجاهد في تعلم دعائم الإسلام من صلاة وصوم[14].

للأمير عبد القادر ميول ديني كبير فاهتمامه وتعمقه بالجانب الديني جعله يؤول الدين قبل كل شيء حيث أنه قال ذات مرة "حقيقة أن عائلتي عزيزة علي، ولكن الله أعز منها" وهذا مذكور في كتاب الأمير عبد القادر قارئا لنصوص الحكم لابن عربي وحتى تكتمل صورة الأمير عبد القادر فقد تلقى العالم الشرعي دقة وتفصيلاً كما أنه درس الألفية في النحو، والسنوسية والعقائد في التوحيد وايساغوجي في المنطق، كما أن هذا "الطالب الشغوف المتحمس دون أعمال أفلاطون وفيتاغورس وأرسطو"

12- شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 61-62.

13- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 20..

14- الحاج مصطفى ابن التهامي – سيرة الأمير عبد القادر وجهاده – تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ص 50.

وبهذا يمكننا أن نقول أنه اكتمل عليه الشرعي والعقلي[15]، وأنه برع في هذين المجالين من دون تهميش المجالات الأخرى منها الثقافية، السياسية، التربوية، العسكرية ....الخ

زواجه:

تزوج عبد القادر شابا يافعا على سنة الله ورسوله طبقا لنصوص القرآن والدين الإسلامي، ففي سن الخامسة عشرة تزوج من ابنة عمة لالة خيرة التي كانت مثله تمتع بجمال خارق وأخلاق عالية، كما تعرف أيضا (بأم البنين)، ومعروف عن الأمير عبد القادر أنه تزوج من غيرها أي أنه كان متعدد الزوجات أنجب الأمير 16 مولودا، منهم عشرة بنين والباقي بنات، من بين زوجاته المفضلة لديه تبقى زوجته الأولى ابنة عمه فهي الأخيرة لديه فقد كانت ذات حياء حتى من مبادلة الزوج مشاعر المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين، كانت عفيفة من كثر الحياء والخجل فتزداد بذلك جمالاً على جمال من كل موقف أو نظرة، أما التعبير لدى الأمير عن حبه لزوجته قد ملك عليه أمره، حتى في معاركه التي غدا فيها يقنع بطيفها حلمه، رقة مشاعره الزوجية تبدو غير مضمونة عن شخصيته تجاه المرأة فتعامله مع زوجاته كان عكس تعامله الخارجي تماماً فقد تحلى بصفة الحنان والتعامل اللطيف مع نساءه[16]، سنة زواجه كانت نحو 1822 م أي قبل رحلته مع والده للحج 1825 م.

15- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 77.

16- عمر بن قينة – الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد، الشاعر، المصور الذي دوخ جنرالات فرنسا ودوخته أم البنين – حقوق النشر محفوظة لمنشورات تالة، الأبيار، الجزائر، 2010، رقم النشر: 2010/202، ص 25، 27، 30.

تأدية فريضة الحج :

عندما بلغ أبو الأمير خمسين سنة قرر أن يؤدي فريضة الحج، فغادر محي الدين وولده مدينة معسكر نحو مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، وعندما علم السكان بذلك ذاع الخبر وأحدث ضجيجا في كل منطقة وهران. فأتى الناس من كل القبائل وكان أولئك الذين يحرصون على شرف المشاركة في تأدية هذا الفرض المؤكد مع الرجل الشريف والصالح يعدون بالآلاف، وفي ذلك الوقت كانت مكانة الشيوخ تقدر على حسب أهمية القافلة التي يقودونها لتأدية هذا الواجب[17]، وسرعان ما شاعت أخبار حركة محي الدين في إقليم وهران، وفجأة بدأ أمل حنون يحاصر العرب في كل الجهات وهكذا أقيمت المآدب، وأعدت البغال وأحضرت الخيام وقد ترددت عبارة "إلى مكة إلى مكة" من كل الجهات وهذا الحدث كان سنة 1823م.

في نهاية اليوم الأول من رحلتهم رأى محي الدين مئات من العرب يطالبون بشرف المشاركة في رحلته المباركة، وفي اليوم الثاني أصبح عددهم بالآلاف، وفى اليوم الرابع أقيم بحر من الخيام حول خيمته، ولم ينفع في صدهم لا العتاب اللطيف ولا الرفض الشديد، أما في عشية اليوم السادس تجمع الركب الكبير على ضفة نهر جديوية في سهل الشلف وفي عمق الليل أسرع فارس تركي وترجل عند خيمة محي الدين[18]، وكان يحمل خطابا من حسين باي وهران وكانت تحتوى هذه الرسالة على دعوة لطيفة لمحي الدين إلى مقر الحكومة وصباح الغد من طلوع الفجر فرغ محي الدين من استعدادات

17- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 49.

18- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 65-66.

إلى العودة إلى وهران طاعة لأوامر رئيسه وإلغاء الرحلة تماما، أما العرب فاشتد بهم فزع كبير حين انتشرت أنباء الدعوة غير المتوقعة وترجوه أن لا يستجيب إلى الدعوة.

بحلول سنة كل 1825 م بعد مكوث عبد القادر في وهران لمدة عام قرر أن يصطحب أباه إلى الديار الحجازية، لتأدية فريضة الحج فسارا عن طريق تونس فطرابلس والإسكندرية فالقاهرة ثم إلى مكة المكرمة، فالتقيا بكثير من العلماء والأعيان وتعرف على أحوال المسلمين في تلك البلاد وبعد الإنتهاء من مناسك الحج، اتجها إلى دمشق ومنها إلى بغداد، فأخذ عبد القادر في الأولى الطريقة النقشبندية على العالم خالد المجددي"، والطريقة القادرية عن "محمود الكيلاني" في بغداد، ثم عادوا إلى مكة للقيام بمناسك الحج ثانية، وبعدئذ ركبا البحر إلى الجزائر[19].

هواية الفروسية وحب الشعر عند الأمير عبد القادر

كان عبد القادر يعيش مرحلة الشباب الحقة بما فيه من قوة وشجاعة وتحمل ولذلك فلا عجب أن نراه وهو صاحب السبعة عشرة ربيعا يشار إليه بالبنان لشدة البأس وقوة البدن والفروسية وبذلك عود نفسه وروحه على تحمل الشدائد والصعاب[20]، وكانت هوايات الأمير المحببة إلى نفسه كثيرة منها رياضة الصيد والفروسية وكتابة الشعر، فوالده محي الدين هو المشجع والداعم الأول لإبنه عبد القادر في شتى اهتماماته الدنيوية فمحي الدين دعم وشجع ولده على الفروسية وركوب الخيل ومقارعة أنداده والمشاركة في المسابقات التي تقام آنذاك، فأظهر تفوقا مدهشا، فقد كان يلمس فرسه بصدره، يضع

19- زكرياء الصيام، – ديوان الأمير عبد القادر الجزائري – المؤسسة الجزائرية للطباعة – ديوان المطبوعات الجامعية، رقم النشر 88.2418، ص 14.

20- عبد الرزاق بن سبع – الأمير عبد القادر وأدبه – مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، اغسطس 2000 ، ص 13.

إحدى يديه على ظهر الفرس ثم يقفز من جانب إلى آخر وكان يدفع الفرس إلى أكبر سرعة ممكنة ويقف على السرج ويطلق النار على هدفه بدقة عجيبة[21].

كانت الفروسية شيئا مهما بالنسبة له أو بالأصح من أولوياته الحياتية ففتوته ظهر بسباق الخيل، فقد كان يمثل ذلك عاملا هاما في حياته وهو ذلك الفراغ المثير من الوقت الذي كان يقضيه النبلاء الجزائريون بحماس يفوق الحماس الذي يدخل به هواتنا حلبة السباق.

كان يركب جوادا فاحم السواد [هو اللون الذي كان يفضله، لأنه عادة يدل على استعدادات ممتازة ولأنه يمثل مقارنة خاصة مع بياض برنسه] يجعله محط جميع الأنظار.

شخصية عبد القادر أو ظهوره الخارجي ينعكس تماما أو يتغير إلى نظرة أخرى عندما يبدأ السباق فيظهر ببرودة تامة وضبطا كاملا للنفس ونظرا إلا أنه كان يسبق منافسيه بمسافات فإنه غالباً ما كان يصل إلى الهدف وحده وسط أصوات الإعجاب سواء بالتصفيق أو زغاريد مئات النسوة، تلك أصوات الفرح والترحيب عند العرب والتي تزيد المحارب المنتصر نشوة الانتصار، أي أن فرحة العرب أو المشجعين لعبد القادر كبيرة والفخر به أكبر وهذا ما يجعله أكثر استمرارية أي بالدعم والتشجيع من كل الأطراف والجهات.

رغم أن عبد القادر قام في عهد متأخر بذلك الأدوار المدهشة التي أثارت استغراب وحيرة أعدائه [عدم النوم خلال أسابيع والتعرض للصدام وندرة إغماد السيف] أي أنه لا ينام لمدة طويلة وعدم

21- عبد الرزاق بن سبع – الأمير عبد القادر وأدبه – مرجع سابق، ص 14.

التعرض للصدام وصبره الطويل وشدة حيلته تبارك الله وقوته وشجاعته فقد كان صحيح ما قيل عنه أنه "سرجه كان عرشه"[22].

كما أنه كان شخص موهوب بالطبيعة وجاء في فن الثقافة العصامية والإصلاح الذاتي بتفوق عظيم على كل من حوله، يتمتع بكامل الاحترام والحب والثقة، كما كان من محبي الصيد فقد لقي كل أنواع التسلية التي تستدعي المهارة والشجاعة وطبعا كان فخره في إتقان صيد الباز، وصيد الغزال والنعامة والخنزير البري من أفضل ما يحب اصطياده، فالصيد هو مدرسة الغارات الحربية [23].

كما هو معروف عن الأمير أنه يعرف شاعرًا فعبد القادر كان عاشقا للشعر فقد كان يرى الشعر من متممات فخره، يتخذه زينة وحيلة، ويجيز عليه الشعراء – الذين يمتدحونه – بالعطايا، أما أقرانه من العلماء، فقد كان يساجلهم الشعر مساجلة.

وديوان ممدوح حقي على ما يبدو جزء قليل مما نظمه، جمعه قبله محمد باشا ولده، وأشار إلى أنه ضرب صفحا، عما قاله في "الحقيقة واللطائف"، فديوان الأمير عبد القادر لممدوح حقي فيه الكفاية ليدل على مستواه في الشعر وعلى الفنون التي تعاطاها ومنزلته بين شعراء عصره وأسلوبه وقدرته. وعلى العموم هو آخر حلقات الشعر المنحدر من القرون الوسطى ولقد قسمت الديوان تبعا لفنونه، فإذا هي خمسة: الفخر والغزل والمساجلات والمناسبات والتصوف.

22- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 62-63.

23- المرجع نفسه، ص 63-64.

ففي فخره: يستمد عنترة ويستوحي المتنبي، وينهل من التجارب التي عاناها، فلقد دخل المعارك بنفسه، ومارسها ممارسة الجندي والقائد جرح فيها مرة، وقتل فرسه أكثر من مرة، قصعا بالرماح وهبرا بالسيوف.

وفي غزله: يشكو الهجران وآلام البعاد والشوق ويتمنى لقاء الحبيب ... وحاشا به ذلك من الأوصاف التي لم يرتفع فيها عن مستوى عصره.

أما في المساجلات والمناسبات، فالصورة صادقة لشعره في القرون الوسطى، بكل ما فيها من ضعف وثقافة[24].

أصوله ونسبه

يعود أصل الأمير وأسرته للأدارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب الأقصى والأوسط والأندلس والذين يمتد نسبهم لنبي الإسلام، ويعتبر السيد عبد القوي الأول، أول أجداده الذين نزحوا عن المغرب الأقصى، واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف من أعمال الجزائر، وكان والده محي الدين أحد أكبر مشايخ الطريقة القادرية، كما أن أمه السيدة زهرة بنت عبد القادر بن خدة أيضا إنه أحد شيوخ الطريقة القادرية كما أن أجداده من أكبر علماء الدين والفقه[25].

الشاب عبد القادر من سلالة ونسب نبوي فهو السيد الجليل الحاج عبد القادر محي الدين بن مصطفى بن محمد المختار ابن عبد القادر بن أحمد المختار ابن عبد القادر بن خدة بن أحمد بن محمد بن

24- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 17، 18، 19.

25- عبد القادر بن سبع، الأمير عبد القدر وأدبه، مرجع سابق، ص 11.

عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد ابن مسعود بن طاووس بن يعقوب عبد القوي بن أحمد ابن محمد ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن البسط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[26].

وقد اشتهرت سلالة الأمير وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد فكانوا بذلك موضع تقديم واحترام من طرف الجميع، يرجع إليهم كل صغيرة وكبيرة، أي كانوا ذو مكانة عالية متحلين بالأخلاق والأدب.

وبالتالي استطاعت أسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري وخاصة في عهد محي الدين الذي اشتهر بالعلم والتقوى وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصال لتلقي العلوم والأذكار، حيث كان يلقب بالشريف لانتسابه إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان هو ممثل شيخ الطريقة القادرية بالجزائر حيث كانت دائما أسرته منسوبة إليها بالخصوص في عهد جده السيد محمد المعروف بالمجاهد وكذلك كانت قبيلة بني هاشم تنظر إليه نظرة ولي من أولياء الله.

– نسب وأصل عبد القادر نسب ذات فخر وشموخ بالحظ الجزائر والجزائريين بالأمير عبد القادر فهو نسخة لن تكرر مدى الحياة[27].

26– زكرياء الصيام، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 13

27– عبد القادر بن سبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مرجع سابق، ص 11.

* الشكل والملامح

شخصيته:

عرف عن الأمير عبد القادر أنه كان عصبي المزاج، عنيفا في الدفاع عما يعتقد أنه الحق لا يلين للقوة مهما قست وطغت، فيه شيء من منهجية البادية وعنادها، على ليونة في القلب أمام الجمال، وتراخ لعزة المرأة، شخصية ذات طابع نادر، كان معتاد على عادات أولية في يومه جعلها وتيرة دائمة بالنسبة له، فقد كان "يصحو من نومه قبل الفجر فيصلي الصبح حاضرا، ويقرأ ورده المعتاد، بصوت هادئ مسموع، ثم يضطجع، فيغفوا إلى ما بعد بزوغ الشمس، وينهض ليملأ نهاره بعمل مستمر، لا ينقطع لحظة واحدة عن عمل يؤديه أو كتاب يستفيد منه، أو مؤلف يعده أو قصيدة ينظمها أو رسالة يحبرها. وأكثر رسائله من المطولات فإذا وجد فضلة من وقت، اشترك في خياطة ثوبه أو مبارة الشطرنج، مع أحد أخصائه، وكان يجيد استخدام الإبرة في السلم، إجادته استخدام السيف في الحرب، لا يهدأ ولا يفتر: عاملا جادا طوال يوميه حتى يصلي العشاء الآخرة يذهب إلى فراشه ليستريح من عناء نهار كامل، لم يترك فيه دقيقة واحدة بغير عمل"[28].

ملامحه:

في السابعة عشرة من عمر الأمير عبد القادر اشتهر بين زملائه بقوته العصبية ونشاطه الواضح حتى عندما كان في كمال وحيوية رجولته، أظهر شجاعة فاقت كل شجاعة فقد كان والده غالبا ما يعود به إلى عهد طفولته الناعمة ويعجب من المقاربة المدهشة، حيث أنه تطور بسرعة فائقة ملامحه ظهرت

28- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 11.

في مقارنة غريبة مع تطوره الجسمي فعبارة يخاف من ظله قد تؤخذ على حرفيتها بشكل كبير نسبة لعبد القادر "كان يملك إطارا جسمانيا لا يعرف الكلل وقادرا على احتمال أشق الأتعاب فهيئته متناسقة ومتكاملة مع ثم تركيبة عظامه وصدره العريض الغائر فطوله كان حوالي 5 أقدام و6 بوصات "كان معتدل الطول، ملئ الجسم، يعلوه رأس ضخم، يتوجه شعر كث مغتصب بالسواد يبرز بين عينيه الشهلاوين أنف أقنى، مطل على فم مطبق، ابتسامته تطبع بحنان ناعم، يمشي مستقيما ويقعد كالمستوفر، وينهض بعزم إذا ركب وثب إلى ظهر الجواد وثبا وبقي إلى آخر أيامه يعشق الخيل ويداعبها"[29].

كان كساؤه بسيطا وصريحا، وليس سوى ملامحه يظهر بالزينة فقد كانت بندقيته التونسية الطويلة مرصعة بالفضة أما مسدسه فقد كان مرصعا بالجواهر، وكان سيفه الدمشقي مغمدا في غمد من فضة إن هذه المرافق مع المنح التي خضت بها الطبيعة شخصه، قد أعطت لمظهره مهابة يصعب التعبير عنها [30].

*** دور المحيط القبلي في نشأته:**

دور الأم:

كانت تدعى والدة الأمير عبد القادر بلالة زهرة وكانت سيدة مثقفة ومحترمة والأمير عبد القادر كان يحبها كثيراً ومعجبا بها وشدة تعلقه بها كبيرة، فقد لازمها في حله وترحاله، سلمه وحربه، ورافقته إلى

29- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 05.

30- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 40.

الأسر وحملها معه إلى اسطنبول وبروسة ودمشق، وامتنع عن الحج، خشية أن يفقدها في تغيبه عنها فلما استخارها الله إلى جواره عام 1273هـ حزن عليها حزنا شديدًا وتوقف في الطريق مرات متعددة من مقبرة "الدحداح" حيث دفنت، إلى منزله في العمارة بدمشق عجزا وذهولاً والمسافة لا تزيد على كيلومتر واحد فقط، وكان شديد الاحترام لها يأخذ برأيها ويستشيرها حتى اتهم بأنه يخضع لما يصدره من مكاتبات وتحارير ومراسلات موقعة باسمه وربما كانت والدته ذات شخصية طاغية[31].

رآها نابليون في أمبواز فقبل يدها احتراماً، وسألها الدعاء وفي احتفالات باريس، أجلس الأمير إلى جانبه وسأله عنها خاصة وكان كثير من الكبار والعلماء والعظماء، الذين يراسلون الأمير يقدمون لوالدته الاحترام اللائق مع التحيات الخاصة.

لقد ساهمت والدته كثيرا في شخصيته حيث تركت به أثرا كما أنه مارس ارتباطه الواقعي القوي بها في ارتباطه بزوجته الأولى الأثيرة دون سائر زوجاته الأخريات بشهادة ابنه [الأمير محمد في كتابه تحفة الزائر في تاريخ الجزائر] أنه كانت أعصابه من حديد إلا أمام المرأة ولذلك تزوج بغير واحدة وتعددت سراريه وأمهات أولاده وكثر منهم ولده ولعل السر في هذا الخضوع للمرأة هو حبه لأمه وإعجابه بها مع التعليق الشديد لها[32].

هذا الاتجاه في الموقف من المرأة احتراما وتقديرا وحبا يعبر عن إنسانية (الأمير) الرفيعة، وروحه العالية وسمو أخلاقه، في مراعاة (البر) و(الحسنى) الأمر الذي يكرس صفاء روح وسمو مشاعر تبقى على

31- عمر بن قينة، - الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الشاعر المصور- مرجع سابق، ص 30.

32- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 12-13.

علاقته متينة قوية صادقة بالإنسان[33] أي أن لالة زهرة تركت فيه أوصافا ذات خصال عالية مع أخلاق وصفاء روح يعبرون عن إنسانية وشخصية عبد القادر الرفيعة.

دور الأب

كان عبد القادر منذ طفولته موضعا خاصا لحب والده، حتى عندما كان رضيعا فإن الوالد الحنون كان يصر دائما على أخذ الطفل إلى حضنه، وكان لا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به، فقد كان هناك على ما يبدو سرا غامضا وعاطفة غير محددة يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي يكون مستقبله محفوظا بهالة مجيدة بمستقبل بلاده[34].

غير أن تقدم الشيخ محي الدين في السن جعله يقترح ابنه "عبد القادر" لقيادة الحركة الجهادية فزكى المجاهدون والمواطنون اقتراحه ولم يعترض عبد القادر قائلاً: "إن واجبي طاعة أوامر والدي" فتمت مبايعته رسميا سنة 1932 وسرعان ما انتهت إليه قيادة الجهاد في الجزائر كلها من أقصى غربها إلى أقصى شرقها ومن أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها قائدا فدا وفارسا مقداما وشاعرا فحلاً في كل ذلك فبات مصدر رعب كما بدأ مواطنوه ينظرون إليه كما قال العقيد الإنجليزي شارل هنري تشرشل "تقديس خرافي إلى رجل يتمتع بشخصية رسمية ويتقدم بلا خوف دون أن يلحقه أذى حيثما هدده الخطر، فهو مرة يمرق من صفوف الرماة الأعداء، ومرة يطلق النار في شكل تربيعي[35] أي أن كل هذه الشجاعة والمرتبة التي جعلته هناك هي دعماً وأمرا من والده أما إتقانها بامتياز فهو ارث من والده،

33- عمر بن قينة، - الأمير عبد القادر المجاهد الشاعر المصور -، مرجع سابق، ص 30.

34- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 61.

35- عمر بن قينة، - الأمير عبد القادر المجاهد الشاعر المصور - مرجع سابق، ص 11.

السيد محي الدين لعب دورا مهما في حياة الأمير عبد القادر وشخصيته القوية الشجاعة وحتى في زعامته ورئاسته.

لقد كان بحق شابا فتيا سمات البطل الشجاع فاستمد من والده أصول السياسة وتعلم من العدو الخبرة الحربية بفضل تلك الحروب الطاحنة التي خاضها معه فقد أمكن له أن يصبح شخصية كبيرة له مقامه ومكانته في تاريخ الثورات التحريرية[36].

ومن دون أن ننسى أن محي الدين كان هو في الرئاسة قبل ابنه عبد القادر، في الجهاد كما أنه شيخ كبير في الطريقة القادرية محترم متخلق ومثقف، كل هذه العوامل ساهمت كدور كبير في شخصية الأمير عبد القادر.

- دور المحيط والقبيلة في شخصية الأمير عبد القادر:

ترعرع الأمير عبد القادر ونشأ في منطقة القطنة، وهي إرث فكري وثقافي للعائلة، أسسها سيدي مصطفى أبو سيدي محي الدين أي جده، غير أن عبد القادر نشأ فيها إلا أنه تلقى دروسه الأولى فيها أيضا فمكان تعلمه موجود في نفس المكان بين حسين وسيدي بوحنيفية، والقطنة هي نوع من المنشآت الرابعة التي تبذر العلم على كل المستويات في كل التخصصات تلك الفترة [دراسة وتفسير القرآن، الفقه، التاريخ، الشريعة الخ][37] ومن هنا يمكننا أن نشير إلى أهم مؤثر في حياة الأمير ألا وهو

36- هجيرة نقاز، مجلة الروافد، مجلد رقم 06، عدد خاص، 2022، ص 634.

37- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 49.

المحيط العلمي الذي نشأ فيه والمنطقة الفكرية الثقافية الموروثة التي ساعدت في ذلك، كما يمكننا أن لا نهمش الدور الكبير لزاوية سيدي محي الدين.

كانت توجد زاوية سيدي محي الدين على بعد 30 كلم من القطنة وهي عبارة عن مصلى واسع أين كان المؤمنون يؤدون مناسكهم وعباداتهم تحت إمامة الشيخ، غير بعيد عنها يوجد ضريح الجد الأول لعبد القادر وهو الوالي سيدي قادة، وهو مقر موسم سنوي يلتقي فيه العديد من المؤمنين[38].

لقد تتابعت وترادفت الزوار لزاوية الجد سيدي مصطفى إلى ولده و كذا حتى بلغ أكثر من والده ولقد كان في سفرته الذي طلع فيها إلى الحجاز قال: "أنا تركتها لولدي محي الدين مسرجة" فحقق الله رجاءه حتى صار شيخا كبيرا، فطلبة القرآن الذين قرؤوا القرآن والعلم بقريته المذكورة فلا يحصلون كثرة ولا يعدهم عاد دأبا، كانت فيه نحو السبعة مجالس للتدريس وكان بناه قائد من ولاة وهران متقربا من الله، فهكذا كانوا يتنافسون بالمزايدة في إنفاق أموالهم على الزاوية مرجون بركتها دنيا وأخرى.

أما ما يخرج من الطعام للأضياف فشيء كثير في كل ليلة[39]. إن كل هذا الوصف عن زاوية محي الدين قليل ومحصور فبعبارة أخرى كانت الزاوية في أتم وأحسن المستويات الأخلاقية والتعليمية والدينية، كل هذا الوصف أو هذه المميزات والسمات تبين لنا نشأة الأمير والمحيط القبلي والتعليمي الذي نشأ فيه، فهذه البيئة التي عاش فيها بيئة إسلامية تربوية إيمانية واجتماعية متماسكة في ظلها

38- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 49.

39- الأمير عبد القادر – مذكرات أدبية – سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق محفوظ سيمائي د.محمد صالح حبون، أخرج أحاديث الطبعة: عبد المجيد بيرم، ص 48-49.

تكونت شخصية الأمير وهي التي أثرت في تكوينه النفسي والجماعي والفكري والسياسي وهذا التكوين يعود كذلك إلى العامل الوراثي والبيولوجي والعقل للأمير.

نشوب الأمير في هذا الوسط كان قد استجمع خصال السؤد على نحو متكامل، حيث حاز إلى جانب المؤهلات الاجتماعية القدرات الذهنية وهو ما جعله يغدو إلى جانب رجل السياسة والدين كان عليها شاعرا وكاتبا في ذات الوقت، الأمر الذي هيأه لأن ينجز على الصعيدين السياسي والفكري تجربة حياتية توسمت لنا منعطفاتها في آثاره وكتاباته[40].

ففي هذا المصطلح من التقشف والزهد والعبادة وكذلك الدراسة نشأ من يصبح أميرا فيما بعد، فأنم عن ذكاء مبكر، وكان عميق التدين منذ فترات صباه الأولى، وهكذا فعندما بعثه أبوه ليتم دراسته في وهران، اضطر إلى هجرة هذه المدينة بسبب الأخلاق المنحلة للشباب، فأعيد بعثه إلى أرزيو حيث وجد في قاضي هذه المدينة معلما جليلا ومربيا عظيما، ولكن يتحاشى كل إغراءات الشباب فقد تروج صغير[41]، كل المعالم المذكورة سابقا صنعت وهيأت الأمير لأنها معايير ذات طابع أخلاقي وتربوي ديني، اجتماعي، سياسي كلها كانت محققة شخصية عالمية من هنا يمكننا أن نقول أن البيئة أو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان مهم جدا فإن ساء ساءت أقوامه وإن صلح صلح أبناءه. لقول بن خلدون: "الإنسان ابن بيئته وعصره".

40- هجيرة نقاز، مجلة الروافد، مرجع سابق، ص 632.

41- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 49.

*** وفاته**

من أغرب وقائع الزمان، أن يرى الإنسان أصدقاءه وذويه يدفنوه وهو مازال على قيد الحياة، وأن يقرأ بنفسه برقيات التعازي وقصائد التأبين والرثاء، تفد إلى بيته من كل جهة، هذا ما جرى في حياة الأمير فقد أشاع المرجفون نبأ وفاته سنة 1296 هـ، فبادر رجال الصحافة إلى نشر الخبر وطارت البرقيات والرسائل إلى أسرته من مختلف أنحاء العالم فاطلع على ما كتب عنه وسمع ما قيل فيه ثم قال: "إن الموت لابد منه، عند نهاية الأجل، والحمد لله الذي أراني وأسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي، وهذا نادر الوقوع، وغريب الاتفاق"[42].

في أواخر شبه جمادى الآخرة عام 1300هـ / الموافق لشهر ماي عام 1883م أصيب الأمير بكليتيه ومثانته مع حصر البول فزاده ألما ووضعفا ومرض مرض الموت، كان في تلك الفترة يشتغل بالمراقبة والفكر ولم يظهر ضجر ولا تأوه قط ولا ترك الصلاة في وقت من الأوقات لكنه عجز في آخر مرضه عن الوضوء فصار يتيمم وكان في مرضه قليل الكلام، واستمر عليه تردد الأطباء وتناوب معالجته خمسة وعشرين يوما[43].

كما قيل أيضا "أن أيامه الأخيرة يغلب عليها الهدوء والبساطة والنظام الدقيق، وكان يستعد للقاء الله عز وجل وينتظر الأجل ومنذ حجه عام 1872م ومع تقدم منه اغتلت صحته، خف نشاطه

42- زكرياء الصيام، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 55.

43- نزار أباظة، كتاب الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد - الطبعة الأولى - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، 1414هـ - 1994م.ص34

وجهده"[44] انتقلت روحه إلى خالقها سبحانه منتصف ليلة السبت 19 رجب 1300هـ الموافق لـ 24 ماي 1883م في قصره بقرية ضمر غرب المشرق عن عمر يناهز 87 عام.

في نهار اليوم التالي حمل إلى بيته في دمشق ليجهز وصلى عليه بالمسجد الأموي، ثم شيعت جنازته إلى حي الصالحية ودفن بجوار الشيخ محمد الدين العربي داخل قبة مسجده.

ومما كتب على شاهدة ضريحه الأبيات التالية للشاعر عبد المجيد الخاني

لله أفق، صار مشرق دارتي قرين هلا من ديار المغرب

الشيخ محي الدين، ختم الأوّليا قمر «الفتوحات» الفريد المشرب

والفرد عبد القادر الحسني الأمير قمر «المواقف» ذا الولي إبن النبي

من نال من أعلى رفيق أرخوا أزكى مقامات الشهود الأقرب"

وبعد أن تحقق النصر لثورة المليون ونصف المليون شهيد بادر رجالتها إلى تجسيد وفائهم نحو الأمير عبد القادر، فنقلوا رفاته من العاصمة السورية إلى العاصمة الجزائرية في الرابع من شهر جويلية عام 1966م ونقشوا على ضريحه عبارة أطلقها في وجه فرنسا، حين كان أسيرا بين يديها تقول:

" لو جمعت فرنسا سائر أموالها، ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبدا[45] وبين أن أكون حرا فقيرا معدما لاخترت أن أكون حرًا فقيرًا".

44- علي محمد محمد الصلابي-سيرة الأمير عبد القادر - قائد رباني ومجاهد إسلامي - دار المعرفة بيروت، ص 363.

45- زكرياء الصيام، ديوان الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 56.

– بعض الملابسات في حياة الأمير عبد القادر

*** في عيون المستشرقين**

كان الأمير عبد القادر شخصية عظيمة امتازت بصفات متعددة وفي جوانب مختلفة، لفتت إليها الأنظار واستقطبت من حولها الرجال فملأت الدنيا وشغلت الناس[46]. وذلك ما كتب عن شخصيته ذات بعد إنساني عالمي نالت إعجاب العدو قبل الصديق، وهو ما جعل الكثير من المؤرخين والمثقفين خاصة الفرنسيين يتحدثون عنه ويعترفون له بالفضل في عديد من القضايا والمواقف التي جابهما كما يجلونه إكبارا لشخصيته وقوة تأثيره فتناولوه في صفحات كتبهم[47] ذلك ما أتاح لنا في آثاره ومبادئه وأخلاقه العظيمة وتصوره البارع.

– آراء شخصيات أجنبية

تشرشل: المؤرخ البريطاني يقول : "عجب الفرنسيون من شجاعة عبد القادر وسرعة اختفائه فكأنه يطير في الهواء فشهد له في محافل باريس الجنرال يوسف بأنه أشجع ما عرفت الأمم من الرجال وبأن غرابة اختفائه السريع تحير العقول "[48]. قال أيضا عن الأمير عبد القادر "أنظروا إلى الأمير عبد القادر الأسير في منفاه كيف يقوم هو وجماعته بكل واجبات دينهم من صلاة ليلا ونهاراً"[49] كما تطرقنا للكتب الأخرى وكان الأمير مثالا للعدل والرحمة حتى مع أعدائه كما قال فاليوت "valiot" قال في

46– نزار إباظة، الأمير عبد القادر الجزائر العالم المجاهد، مرجع سابق 1414هـ–1994م ص 05.

47– دهوم عبد المجيد، مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات مصنفة "c" المجلد الرابع عشر العدد 01 جوان 2023، جامعة تيسمسيلت الجزائر، ص 1238.

48– علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي سيرة الأمير عبد القادر ، دار ابن كثير، ص 487.

49– المرجع نفسه، ص 505.

تاريخه "عدو كريم الأخلاق، فإن كان أسيرا قد أثنى عليه"[50] شخصه الفرنسيين في صفحة دوبيش والدوق دومال قائلين: "إن عبد القادر ليس برجل الذي يهرب من قضائه ، فهو مؤمن ذو همة وجلد و صبر، ولا يبالي بالشدائد، وهو ذو قوة وعزة نفس وصلابة في دينه وصدق اشتهر به، وهو شديد التمسك بمبادئه الوطنية، وهو شخصية نادرة إذا وعد وفى وإذا تكلم صدق"[51]، كما قال عنه لورانس كايف : المؤرخ الانجليزي كتب عنه: "إن سمعة الأمير قد أصبحت أوروبية منذ (1835م)، وهذا الإعجاب بعبقرية الأمير الحربية، ووطنيته الفياضة"، كما أن كارل ماركس قد أجرى دراسة حول الأمير ، ووصفه بـ" قائد مغوار"[52] كذلك النقيب كلير: يقول عنه "إن الحملة التي قام بها الأمير أثارت إعجاب كل العسكريين الذي ينحنون بالرغم عنهم أمام هذه العبقرية"[53] وشهد بعض المؤرخون عن شخصيته العظيمة قال جاك بيرك : المفكر الفرنسي في كتابه "لقد استطاع الأمير عبد القادر أن يغلب ويهزم جيشا لأكبر دولة في العالم مدة سبعة عشر عاما متواصلة، وهو على صهوة جواده يقود معركة بعد أخرى محققا انتصارات هائلة وخسائر مريعة لنا"[54] حيث رسم صورة صادقة ومعبرة قال القائد سولت: سنة 1843 "إن الأمير عبد القادر يستحق عن جدارة حق وتقدير قوي لقب العظيم لتخليد

50- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني، ص 21.

51- علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق، ص 501-502.

52- المرجع نفسه، ص 601.

53- المرجع نفسه، ص 487.

54- الأميرة البديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري دار للوعي للنشر والتوزيع، رويبة الجزائر الطبعة الأولى، 1434هـ/2012م.ص31.

ذكراه دوليا"[55] وبعد ذلك لاحظ الجنرال بيجو قائلا عن الأمير عبد القادر "خصم صنديد نخشى بطنه، وأصبحت الإمدادات تتولى من فرنسا على قواتها في الجزائر"[56].

"تأملت هيأته ولباسه الذي لم يكن يغاير لباس أبسط العرب، له هيئة الناسك الورع"[57]. وغير ذلك من طموح الأمير فأضاف المؤرخ الفرنسي جون بول أزان: "أن الأمير قائد متشبع بالذهنية الاستعمارية، وصديق الأكبر لفرنسا أو الصديق المخلص والوفي"[58] كما تحدث عنه قائلا في صفاته وملامحه المؤرخ برونو ايتين: "وصفه بالقديس والشاعر البطل بحربه جهاد الأكبر ضد الفرنسيين واعتماده في جيشه عن المرابطين والأشراف وأفراد قبائل بدل الأجاود والنبلاء"[59] اهتم العسكريون الفرنسيون بشخصية الأمير واعترفوا بنبالة أصله قائلين: بير بروجر الفرنسي : "كان يهتم الأمير بالقراءة والمطالعة فقد وجد عنده حوالي ثلاثين مجلدا من الكتب ويقول أنه بدأ ولم تكن له من ثروة سوى حصانه وسلاحه، وليس له ما يرفع من قيمته سوى تجريد العدو الذي يقتله في المعركة". وأيضا موريس دي بونقران: "كان رجلا استطاع طيلة أربعة عشر عاما ودون أن تكون له ثروة سوى إرادته، ومن سلطة سوى الكلمة أن يثير إفريقيا من أقصاها إلى أدناها، وأن يجند بذلك جموعا من (الأعداء) ويضع على المحك السمعة العريقة للجيوش الفرنسية، وأن يلفت إليه أنظار العالم المذهول"[60] واعترف بير

55- مسعود المجاهد الجزائري، تاريخ الجزائر، صدرت عن مجلس نقابة المحامين النظاميين لعمان، من آب سنة 1961م، ص 149.

56- علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري وسيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق، ص 14.

57- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، مرجع سابق، ص 19.

58- دهوم عبد المجيد، مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات، مرجع سابق، ص 1248.

59- المرجع نفسه ص 124.

60- بودن غالم، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة ص 36.

بورجر العسكري بأن "عبد القادر زعيم كان دائما جدير بحظوظ عالية فهو لا يترك فرصه لخصمه حتى يهزمه ولا ييأس أبدا، فهو لا يحرك ينعته بالمتعصب الطموح المأثر على المتدينين بالعمق"[61] كتب عنه الضابط السامي في قيادة الأركان ديني دي بان رغم هزائمه فإن الأمير عبد القادر كان بدون ضجيج ولا حرب لا ينتزع (أراضينا) فحسب بل حتى رجالنا، فكانت القبائل المختلفة تهاجر من حدودنا لتنضم للأمير[62]. كما أورد توسان دي مانوارة "أن الأمير كان يتربع على حصير تحت شجرة متكئا على صندوق خشبي شبيه بالصناديق التي نراها لدى جميع الباعة"[63] ،كما نقول ان الأمير سلم راية الجهاد إلى الشعب الجزائري ظل واقفا شامخا بحيث الكولونيل دوماس لخص حديث المؤرخ الفرنسي باليس دورانيو في مؤلفه (الحوليات)، وأيد الحديث الأستاذ ابريت في كتابه: "من المؤكد أن الأمير عبد القادر، لم ينحرف عن حياته التي نشأ فيها عليها، وبقي وفيا لها حتى في سجنه في قصر أمبواز، فقد كان يتقاسم مع أصحابه التعليم وتدريس القرآن للصفار وتفسيره للراشدين، إن الرجل الذي قضى 17 سنة في الملك ملكا يحكم ومقاتلا لجيوش جرارة فاقته عددا وعدة، ولفت أنظار العالم بشجاعته الفريدة يقف معلما للصغار ليس بالرجل العادي وقد كان كثير ما ينقصه الحطب فيرفض أخذه من أصحابه ويحمل مشقة جمعه بنفسه في البرد"[64].

61- بودن غالم، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة مرجع سابق، ص 36.

62- المرجع نفسه، ص 37.

63- بركات محمد مراد ،الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، مرجع سابق، ص 19.

64- الأميرة البديعة الحسيني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق. ص33 .

ومنهم العرب:

– الملك فيصل: ملك العراق سنة 1920م كتب ملاحظة لكاتب فرنسي يدعى ب "ديسانيور ساندران": "يعد الحاج عبد القادر واحدا من أكبر رجالات الإسلام، وأكثرهم مدعاة للاحترام وأجدرهم بتقدير للإسلام وإجلاله"[65].

– قدور بن رويلة: "أنه كان زهيدا في دنياه لا يتعلق بحطامها ويجهد نفسه في الابتعاد عن ذلك طعامه عادي بسيط، لباسه كذلك، يقوم الليل مصليا ومسبحا ولا أفضل عنده من الصلاة والصوم تحاشيا للتردي في الخطيئة"[66].

65- علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري وسيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق، ص 702.

66- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، مرجع سابق، ص 19.

آثاره العلمية:

أولا: مؤلفاته وكتبه

الأمير عبد القادر ذو ثقافة واسعة في مختلف علوم، من فنون متنوعة تحدث فيها عن شتى الأغراض وتنقسم إلى قسمين آثار نثرية وشعرية:

1- الآثار الشعرية:

- الديوان : وهو أكبر آثاره الشعرية، وهذا الديوان كما سنرى في حينه لم ينظم في فترة زمنية معينة ولا في بقعة جغرافية معينة، بل نظم على فترات متقطعة، فقدر أفق حياة الأمير منذ نسابه في أرض الجزائر إلى وفاته في دمشق[67].

و قد رتب الديوان تبعا لفنونه في الطبعة الأولى، فإذا هي خمسة: الفخر والغزل والمساجلات والمناسبات والتصوف[68] ومن هنا كان ترتيب الديوان ترتيبا موضوعيا والأمير في قصائده في الديوان طرق كل أبواب الشعر من المدح والعتاب والفخر والتوسل والشوق والتغزل والتهنئة والمطارحة وما إلى ذلك من أغراض الشعرية[69].

في شعر الأمير جمعه ولده الأمير محمد، في ديوان صغير "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" وهي مجموعة دون من شعر الأمير ثبت في كتابه "المواقف" وكان من نتيجة ذلك أن تلمس الديوان

67- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف الجزائر رقم نشر 83/1065 ص 88.

68- المرجع نفسه، ص 90.

69- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائر المجاهد الصوفي، مرجع سابق، ص 48.

نفسه طريقه إلى قلوب القراء بغير معونة، وعرف كثير من لم يكن يعرف قيمة الأمير عبد القادر شاعرا، كما عرفوه: مجاهدا كريما، وبطلا هماما، وسياسيا لبق، ورجل عبقريا"[70].

وعلى كل حال فإن الباقي من شعر الأمير كاف ليعطينا صورة واضحة عن قيمة الأمير الأدبية، وقوته الشعرية، ومقدرته الفنية في الفخر والحماسة والمدح والتغزل والتصوف وغيرها[71].

2- الآثار النثرية:

- كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل وهي رسالة حث فيها عن فضل العلم والعلماء وعن العلم الشرعي، وفضل الكتابة ألفه الأمير سنة 1271 هـ وذكر في الخاتمة الرسالة انقسام الناس بحسب العلوم والمعارف واختلاف المذاهب[72].

- تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام: دون الأمير هذه التعليقات في مرحلة أولى من حياته بعد عودته من المشرق بعد تأديته للحج عام 1243هـ/1828م، وهذا دليل على أن الأمير كان متمكنا من علم الكلام[73].

- كتاب المواقف هو ألفه الأمير بين سنتي 1272 هـ و 1300هـ 1883/1856، وفيه ثلاث مجلدات والكتاب يشتمل فيه مباحث صوفية وتفسير آيات قرآنية، وشرح أحاديث نبوية، ووسط للعقيدة الإسلامية[74].

70- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص 89.
71- المرجع نفسه، ص 92.
72- المرجع نفسه، ص 98.
73- المرجع نفسه، ص 101.
74- المرجع نفسه، ص 99.

– المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد وهو رسالة بما فيه من حجج دامغة وأدلة منطقية ساطعة، يثبت وجود الخالق العظيم لهذا الكون الهائل، ويبرهن مدى صحة وصدق الكتب السماوية وقد ألفه أمير خلال إقامته في أمبواز[75].

– رسائل أخرى وإجابات متعددة في مختلف الأغراض وشتى الفنون، وعديد المشاكل العلمية وغيرها[76].

– مذكرات الأمير عبد القادر: هذا الكتاب عبارة عن سيرة الذاتية والعائلية والتاريخية لحياة الأمير ومعلومات عن عامة عن تاريخ الأنبياء والرسل والعرب والبيزنطنيين وأخلاقهم والدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية وإبراز أصالتها التاريخية[77].

75– فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص 95.

76– يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية الكتاب، الشركة الوطنية النشر والتوزيع الجزائر، ص 132.

77– ريان بن عروسي ،أيوب شرقي ، مجلة الاستيعاب ،حياة الأمير عبد القادر الصوفية واثاره النثرية ،جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي ،جامعة البليدة علي لونسي المجلد 04، ص 116.

*** المكانة العالمية والعلمية**

الأمير عبد القادر لا شك أنه رمز لهذا الانتماء وهذه الأصاله وهذا المجد فحق له ان ينال من البحث والدراسة ما هو بأجدر بشخصه كمجاهد وعالم وفقيه أديب وصوفي[78]، يبين لنا أن المكانة العلمية للأمير عبد القادر وشخصيته المميزة التي استطاعت أن تصنع تاريخا مجيدا للوطن والأهل والبلاد من خلال آثاره الأدبية التي خلفها ومراسلاته ومناظراته والمجالس التي كان يعقدها مع العلماءواشراف الأمة وتتضح خلفيته الإصلاحية وروحه السامية فهو صاحب نجدة وفروسية لا يبخل بالعطاء الفكري والروحي قبل العطاء المادي[79] واتصف الأمير عبد القادر بالاتزان، فمن فصاحة اللسان إلى قوة الخطاب، ومن الشعر بكونه إنسانا من واجبه الحفاظ على النفس البشرية إلى قوة الجهاد انطلاقا من حبه لوطنه العزيز[80]، بينما يعتبر المؤرخ الجزائري صادق سلام أنه من الخطأ قول أن الأمير عبد القادر كان عدوا لفرنسا الاستعمارية المتمثلة في مجرمين ذبحوا وقتلوا وما أرخ من عصور حديثة إلا وأشاد بها الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري ونوه بفضله ومكانته حتى غذا هذا الأسير معلما من معاليم المغرب العربي الحر بماله من مآثر بطولية ملحمية سجلها التاريخ بحروف من نور[81] وقد تمكن الأمير في هذه الرحلة العلمية وتلك السياحة الدينية، من تحصيل من كثير من المعارف والعلوم القديمة

78- عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مرجع سابق، ص 05.

79- هجيرة نقاز، مجلة روافد، مرجع سابق، ص 642.

80- المرجع نفسه، ص642.

81- نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، مرجع سابق، ص 05.

والحديثة، فقد تمكن فضلا عن إحاطته بكثير من العلوم الدينية والتفسير والعلوم والتصوف والأصول وعلم الكلام[82].

كل ماذكرناه قليل في ما قيل عن الامير و جزء بسيط من مكانته العالمية والعلمية مقارنة بمقامه و ماقام به من انتصارات وبطولات جعلته فخرا و عزا لبلده وشعبه .

82- زار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، مرجع سابق، ص 12.

الفصل الثاني: الإشارات في شعر الأمير عبد القادر

– مفهوم البنية:

*** لغة:**

تشتق كلمة بنية في اللغات الأوروبية من الأصل الاتيني STRUCTEURE، الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتنص المعاجم الأوروبية على أن فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر(83)، جاء في لسان العرب "في مادة (بنى)" «بنى البَناءُ البناءَ بنياً وبنَى، مَقصُورٌ، وبَنْياناً وبِنْيَةً وبناية وابتناهُ وبَنَّاه، والبناء: المَبْنَى والجَمْعُ أَبْنِيَةٌ وابنيات جَمعُ الجَمعْ » «و يقال بنية: وهي مثل رشوةٍ ورشًا كأن البنية الهيئة التي بُنِي عَليهَا، مثل المِشْيَة والرِّكبة»(84) وجاء أبي القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري في أساس البلاغة يقول: " بنَى بيتًا أحسن بِناءٍ وبُنيانٍ وهذا بناء حسن وبنيانٌ{ كَأَنّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}وبَنَيْتُ بُنيَةً وبِنيَةً عَجِيبَةً (85).

قال دكتور إبراهيم زكرياء البنية ترتد بها إلى الفعل الثلاثي: «بنى، يبني، وبناية وبنية» وهي استعمالات خاصة في العلوم(86).

83- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط 1، 1419هـ 1998م القاهرة، ص 120.

84- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع، ص 365.

85- أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 78.

86- زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية مشكلات فلسفية، مكتبة مصر شارع كامل صدقي، ص 29.

اصطلاحا:

قدم عالم النفس السويسري قائلا: "أن البنية هي نسق من تحولات، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا في مقابل الخصائص المميزة للعناصر، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه"، انتقلنا الآن إلى تعريف آخر للبنية، فيعرفها ليفي اشتراوس "أن البنية تحمل أولا وقبل كل شيء، طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى"[87]، يقول ألبير سوبول "إن مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنة، الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء، بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية، أعنى داخل منظومة الكلية الشاملة"[88] فالبنية اصطلاحا تتميز بثلاث خصائص "تعدد المعنى والتوقف على السياق والمرونة" بأنها ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية، والتنظيم بالتواصل بين عناصره المختلفة، ويتضح لنا أن مصطلح البنية لا يخلو من الإبهام والاختلاط[89]، حيث يرى الدكتور أحمد مطلوب في معجم مصطلحات النقد العربي القديم: أن بنية الكلام صياغته ووضع ألفاظه ووصف عباراته، وإلى ذلك

87- زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مرجع سابق، ص 30.

88- المرجع نفسه، ص 35.

89- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 122.

ذهب قدامة فقال "بنية الشعر، إنما هو التشجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كأن أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن المذهب النثر فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال[90]، وهذا ما لاحظه إدريس الناقوري حيث قال "يمكن أن نستنبط مفهوما آخر للبنية عند قدامة ونغني به الوضع اللغوي السليم والمستقيم للكلمات في البيت"[91]. عرفها لالاندا في المعجم الفلسفي عند الغرب على أنها "نسق أو كل مؤلف من ظواهر متضافرة، بحيث تكون الظاهرة فيها تابعة للظواهر الأخرى ولا يمكن أن تكون عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر"[92] فهي تركيب الأقسام التي تشكل الكل بتضاد ولا يمكن أن تكون ما هي عليه إلا في علاقتها بالظواهر الأخرى، وقد جاء تعريفها في قاموس "لاروس" التي تشكل الكل بالتضاد، ولا يمكن أن تكون ما هي عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر وقد جاء تعريفها في قاموس "لاروس" "بأنها الطريقة التي يبنى بها الصرح أو المنشأ ثم بالتعميم وهي الطريقة التي يكون بها أجزاء أي كل أو مادة معينة أو جسم حي منسقة بين بعضها البعض"[93].

مفهوم المكان:

لغة:

كلمة المكان أنه جاء في لسان العرب، تحت الجذر من مادة "كون" بمعنى: الموضع، والجمع أمكنه وأماكن، تومهمو بالميم أصلا حتى قالوا تمكن في المكان، وجاءت أيضا من مادة (مكن)

90- شكشاك فاطمة مجلة لجامعة الحاج لخضر باتنة 1، تاريخ النشر 2019/12/06، ص 11.
91- المرجع نفسه، ص 11.
92- المرجع نفسه، ص 11.
93- المرجع نفسه، ص12.

فقال: والمكان: الموضع، والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع. قال ثعلب: يبطل أن يكون فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك، وقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه[94].

وجاء في تاج العروس "والمكان هو الموضع المحاذي للشيء، كما هو مشتق من الفعل "مكن" أو "مكّن" فنقول "تمكن المكان، وبه استقر فيه والمكين الثابت، وأمكنه من الشيء: اقدره عليه وجعله في قبضته فيرد به الثبات والاستقرار في مكان ما " [95].

اصطلاحا:

يقول غاستون باشلار "المصطلح هو المكان الأليف والبيت، ترعرعنا فيه وأنشأنا فيه جزء من حياتنا، هو البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة ومركز تكييف الخيال وعندما يبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه، وهو كما يصفه باشلار "يركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية"[96]. كما قال ياسين النصير المكان عندي مفهوم واضح هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ومن القديم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفنونه وفكره أي أن المكان هو الذي تزداد قيمته يتأثر ويؤثر فيه فيعتبر في وقت الحاضر والماضي مكان الذي يتجزأ فيه كل ذكريات ولذا شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر

94- م.م حازم كامل كيطان - مجلة جماليات المكان في مجموعة الأحزان السومرية للقاص علي السباعي - المجلد 10 العدد 04، 2020 university of this qar journal of humanties science ص 236.

95- المرجع نفسه ، ص 236.

96- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص 09.

يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه[97] بما أن المكان يعد بمثابة العمود الفقري لأي نص، من دونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له[98] فقد أولوه النقاد العناية الفائقة له فالمكان في النقد الأدبي "ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبعاد وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة للأمكنة الجغرافية ذات الحضور الطوبوغرافي، إنما يتشكل في التجربة الأدبية على مستوى اللحظة الآنية، ماثلا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخيل بملامحه وظلاله"[99].فالمكان عند الناقد الادبي هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا من حيث نطلق الحيز في ذاته على فضائي جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط و الأبعاد والأحجام و الأثقال و الأشياء المجسمة مثل الأشجار والأنهار وما يعتريها من حركة أو تغيير و ليس بناء خارجيا مرئيا ولا حيزا محددا المساحة، ولا تركيبا من غرف وأسيجة و نوافذ بل هو كيان من الفعل المغير و المحتوى على تاريخ ما أو المضمخة أبعاده بتواريخ الضوء و الضلمة. [100]

97- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 17.

98- حازم كامل كيطان، - مجلة جماليات المكان في مجموعة الأحزان السومرية للقاص علي السباعي - مرجع سابق، ص 236.

99- المرجع نفسه، ص 236.

100- المرجع نفسه، ص237.

مفهوم النسق:

التعريف اللغوي

"النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء. والتنسيق: التنظيم، فمن خلال معنى النسق في اللغة، يمكن أن تأتي مرادفه لمعنى البنية أو معنى النظام، حسب مصطلح لدى سوسير، واجتهد باحثون عرب، في تحديد مفهومهم الخاص بالنسق. [101]

كما يُعد النسق من أهم العناصر التي يحتويها النص سواء كان شعرا أو نثرا، كما تعتبر اللغة أسمى أدوات الاتصال في المجتمع، وللغوص في ماهية هذا المصطلح يلزمنا الرجوع للمعاجم اللغوية أم المصادر، التي تعد جسرا يعبر من خلاله إلى عالم الحروف والمعاني بغية الوصول إلى معناه الدلالي. أوردت لفظة النسق في مادة « نسق » في (لسان العرب) لابن منظور ويقول: "النسق في كل شيء وما كان على طريقة ونظام واحد، قام في الأشياء وقد نسقه تنسيقا"[102].

وروده أيضا في (معجم الوسيط): "نسق الشيء نسقا نظمه يقال: نسق الدرّو نسق كتبه والكلام: عطف بعضه على البعض (أنسق) فلان: تكلم سجعا (ناسق) بين الأمرين: تابع بينهما ولاءم. (نسقه): نظمه. (أنتسق) الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض. (النسق): ما كان على نظام واحد من كل شيء. يقال جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقا"[103].

101- ملحة بنت معلث - بن رشاد السحيمي - مجلة بحوث كلية الآداب، ص 14.

102- ابن منظور، لسان العرب، ص 4013.

103- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004، ص 918.

التعريف الاصطلاحي:

لمصطلح النسق تعريفات مختلفة، فمن الناحية المصطلحية تختلف التعاريف حسب المجال المعرفي ورؤية كل مهتم بموضوع النسق.

يعرف الدكتور علي السلمي النسق فيقول "إن النسق مفهوم يعم كل الكون، بل إن الكون بكامله ليس إلا نسقا كبيرا يحوي داخله أنساقا جزئية تتداخل فيما بينهما" ويعرف كمال أبو ديب النسق بقوله "إن النسق باعتباره كلا موحدا، هو نقطة البداية التي يمكن انطلاق منها ... تحديد العناصر المكونة له، فالنسق إذا هو مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا، إنه ذاتي التنظيم من جهة، ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية، أي أنه في الوقت الذي يحتفظ ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية[104].

النسق يعمل من خلال سلوكه على المحافظة على كيانه، لذا فهو في تطوره يعرف اتجاهين هما:

1- **الاتجاه نحو التحلل والفناء:** وذلك بتفكك عناصره وتحولها إلى جزئيات تدخل في تكوين عناصر نسق آخر.

104- مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر 2017، ص 56.

2- **الاتجاه نحو التشكل الجديد:** بدعم العناصر والعلاقات ودفعها إلى اكتساب كل جديد ناتج عن إدخال معطيات جديدة على النسق.

كما أن النسق يعمل على ذلك السلوك لأنه يخضع إليه لأنه هو السبيل الذي بنهجه في مسار التطور إذ يفترض أن يكون هذا السلوك مشروط به:

- التعديلات الداخلية المؤثرة في مكوناته.

- أو بالعلاقة بين هذه المكونات.

- أو بالتفاعلات الخاصة بين النسق ومحيطه[105].

ليس هناك تحديدا متفق عليه، ومع ذلك استطاع محمد مفتاح أن يستخلص النواة المشتركة، من تلك التعريفات والنواة، هي أن النسق مكون من مجموعة من العناصر، أو من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض، مع وجود مميز، أو مميزات بين كل عنصر أو آخر، اعتمادا على هذا التحديد يمكن أن نستخلص عدة خصائص للنسق:

1- كل شيء مكون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.

2- له بنية داخلية ظاهرة.

3- له حدود مستقرة بعض الاستقرار، يتعرف عليها الباحثون.

4- قبوله من المجتمع، لأنه يؤدي وظيفة فيه لا يؤديها نسق آخر.

105- مجلة مقاليد، مرجع سابق، ص 56.

وبناء على الخاصية الأخيرة، يمكن اعتبار مجتمع ما من المجتمعات نسقا عاما، يتولد عنه نسق سياسي، نسق اقتصادي، نسق علمي، ونسق ثقافي ... الخ.

وما دام النسق انتظامًا بنيويا، فإنه في هذا المفهوم، يصبح أعم وأشمل من البنية، لأن النسق البنيوي مظهر من مظاهر النسق العام، فقد يكون هذا النسق مغلقا، كما تطرحه البنيوية الصورية، وقد يكون مفتوحًا، كما هو الشأن بالنسبة إلى المناهج النقدية الأخرى، مثل: **السيميائيات والتأويليات المعاصرة، وتبعا للتصورات التي تقدمها القراءة للنسق تتحدد طبيعته.**

وبناء على ما سبق من تصور، ألحظ أن قراءة الأنساق، فتحت المجال على التأويل، كما يخضع هذا النسق إلى شروط موضوعية، تتمثل في الجوانب الاجتماعية والثقافية[106].

فالنسق الثقافي أحد أنواع الأنساق الاجتماعية لأنه مجموعة من العلاقات المترابطة، القابلة للانتقال من جيل إلى جيل، في ثقافة من الثقافات، لما لها من مرونة ومرجعية دلالية خاصة.

كما أن النسق الثقافي، مجموعة الآليات المعرفية والفكرية لفئة اجتماعية ما، تخص المعارف والفنون الأخلاق والمعتقدات، اللغة وغيرها من أنساق المجتمع.

وفي هذا السياق، يمكن أن نذكر [فلاديمير بروب]، من أن نسق الحكاية، مرتبط بالنسق السردي العام، وهذا ما حاولت أن تطوره النظرية السردية، ويعد [ليفي شترواس] من أوائل الذين نقلوا مصطلح "النسق" إلى الحقل الثقافي، في دراسته [الأنثربولوجيا البنيوية]، كما نظر [أمبرتو إيكو] إلى الوحدة

106- ملحة بنت معلث بن رشاد السحيمي، مجلة بحوث كلية الاداب، مرجع سابق، ص 15.

الثقافية، بوصفها وحدة دلالية سميائية مدمجة في نظام واحد، وقد تتجاوز هذا النظام إلى التفاعل بين ثقافتين[107].

فالنسق الثقافي في هذه الحالة، هو وحدة ثقافية دالة، داخل حقل من الوحدات، يتطابق مع تلك التي تحيل عليها العلامات، فإن الثقافة في كليتها، يُنظر إليها باعتبارها نسق، من أنساق العلامات حيث يصبح داخلها مدلولاً دالاً لمدلول جديد، كيفما كانت طبيعة النسق (كلام، موضوعات سلع، أفكار، قيم، أحاسيس، إيماءات، أو سلوكات...).

إن الثقافة هي الطريقة التي يتم بها تفكيك النسق، داخل ظروف تاريخية، وأنثروبولوجية بعينها، ضمن حركة تمنح المعرفة بعدا موضوعيا. وهذا التجزيء، يتم على كل المستويات، بدءًا من الوحدات الإدراكية الأولية، وإنهاء بالأنساق الأيديولوجية.

بينما ينتهي محمد مفتاح، إلى ملاحظة أن المفهوم الملائم في الأنساق الثقافية المفتوحة، هو التأرجح ونموذج، وإن المنهاجة الشمولية، إذا حللت عناصر كل بنية وكشفت عن خصائصها واهتدت على القوانين التي تحكمها، ثم استخلصت الوظيفة الجامعة بينها، فعندها تؤدي إلى الكشف عن نظام العناصر، وانتظامها، وإلى إحلال كل عنصر مرتبته ودرجته، ضمن النسق العام[108].

107- ملحة بنت معلث بن رشاد السحيمي، مجلة بحوث كلية الاداب، مرجع سابق ، ص 16.

108- المرجع نفسه، ص 16.

– مفهوم النسق الاجتماعي:

يقصد بنظرية النسق الاجتماعي العناصر التي تتفاعل مع بعضها، ويحقق كل منها وظيفته في المنظومة العامة للنسق الاجتماعي، ويمكننا على كل من وحدات السلوك نسقا إذا توفرت فيه وجود عناصر أو مركبات، ووظائف واضحة للعناصر توفر التفاعل بينها، وتوفر قوانين أو معايير، ووجود بيئة خارجية يتعايش معها النسق.

لقد ذكر أشهر ممثلي نظرية المعاصرين "تالكوت بارسونز" في مؤلفه "النسق الاجتماعي" أن هناك نسقا اجتماعيا يقوم فيه الأفراد بأفعال اتجاه بعضهم البعض وهذه الأفعال عادة ما تكون منظمة لأن الأفراد في النسق يشتركون سويا في الاعتقاد في قيم معينة وفي أساليب مناسبة للسلوك ويمكننا أن نسمي هذه القيم بالمعايير، ويعد المعيار مقياس يحقق الانتظام في المجتمع، أو ما نسميه بالتوازن الاجتماعي ويتحقق هذا الأخير عن طريق أسلوبين هما: التنشئة الاجتماعي والضبط الاجتماعي أسلوبين مكملين لبعضهما البعض، هدفها جعل الأشخاص يتقيدون بالمعايير التي تتواجد ضمن النسق الاجتماعي فإذا ما فشلت التنشئة الاجتماعية في ضبط الأشخاص وتسييرهم ضمن هذه المعايير فإن النسق الاجتماعي والقيم تجبرهم على ذلك، فالإنسان بطبعه لا يستطيع تغيير هذه الأنساق لكن عليه أن يخضع لها ويتكيف معها، فإن حاول تغيير هذه القيم فإن المجتمع سيصاب بحالة من اللا توازن[109].

109- طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، ط 1.

– شعر الأمير عبد القادر والإشارات المكانية

*** دلالة المكان في شعر الأمير عبد القادر**

يحمل شعر الأمير عبد القادر كثير من الدلالات والمعاني الرمزية للمكان في قصائده، قد يكون المكان رمزا للحنين والذكريات الجميلة، أو رمزا للحرية والتحرر، أو رمزا للوطن والانتماء، يعتمد ذلك على سياق القصيدة وما يرغب الشاعر في التعبير عنه.

– "للمكان في شعر الأمير عبد القادر منزلة في الجسد إذ له في كل شبر وطئت قدماه أديمه ذكرى من ذكريات حياته الحافلة بالبطولات والأمجاد سواء في بلده الجزائر أو في أرض العروبة أو الغربة فالمكان عنده رمزا للتعبير عنه وفي الأبيات الآتية يبوح بمكنوناته اتجاه البستان الذي اشتراه بدمر في دمشق حيث قال:

عُجْ بي – فديتك – في أباطح دُمّر ذات الرياض، الزاهرات، النضّر

ذات المياه الجاريات، على الصفا فكأنها، من ماء نهر الكوثر

ذات الجداول ،كالأراقم جريها سبحانه! من خالقٍ، ومصوّر

ذات النسيم الطيّب، العطر، الذي يغنيك عن زبدٍ، ومسك أذفر[110]

إن هذه الأبيات تعبير صادق عن رفاهية الحس عند الأمير والذوق الجمالي الرائع للمناظر الخلابة التي بها الماء كاللؤلؤ وترابها كأنه تبر يلمع قبل صياغته والتي تمنحه الراحة والسكينة والطمأنينة حتى كأنه يأخذ منها ترياقه حيث قصد هذا المكان بعدما أصابه المرض جراء ما عاناه من ويلات المقاومة

110– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 187/186.

الفكرية والجسدية بالأسر والنفي والسفر والحسرة على ما آلت إليه الأوضاع آنذاك وفعلا مكث بضيعته هذه التي كانت الملاذ الروحي حيث فارق الحياة.

– قال الأمير عبد القادر الجزائري في قصر "أمبواز" عندما كان أسيرا وكان موضع التكريم من علماء فرنسا وعظمائها يراسلونه ويراسلهم، وبعث إليهم بعض أمرائهم يسألونه هل الحياة البدوية أفضل أم حياة المدن[111]، والشاعر العربي ينتصر للبداوة التي ألبسته حلة من مكارم الأخلاق، وأملت عليه قيما لا يمكن الاستغناء عنها ولو كلفه ذلك حياته، والمسألة ليست مسألة بادية وحاضرة، كما نظن وإنما هو تباين بين حضارتين والفارق بينهما في هذا المقام، فارق جمالي في مظهره وحضاري في خطابه العميق.

إذ قال الأمير:

يا عاذراً لامرئٍ، قد هام في الحضر وعاذلاً لمحبّ البدو والقفر

لا تذممنَّ بيوتاً، خفَّ محملُها وتمدحنَّ بيوت الطينِ والحجر!!

لو كنت تعلم ما في البدو، تعذرني لكن جهلت. وكم في الجهل من ضرر![112]

قصد الأمير عبد القادر من هذه الأبيات: "تقديم صورة جميلة ومشرفة عن منبته وشعبه عن أصالة هذا المنبت والخصال الإنسانية والجمالية التي تفتقدها كثيرا الحياة في الحاضرة التي يفتخر بها كما

111– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 44.

112– المصدر نفسه، ص 44.

أن مضمون هذه الأبيات أن البداوة والمحيط الذي نشأ به يصب في عمق كيونه ويؤازر إيديولوجيته التي أفنى حياته في دفاع عنها، وهي ارتباط الإنسان بالأرض والعيش فيها بسبل وآليات متواضعة.

كما أن تربية الأمير في كنف البادية والمتتبع لمحطات حياته يبدو له جليا أنه استلهم مظاهر البداوة من طفولته إلى مسيرته النضالية، فالبداوة عند الأمير نابعة عن انتمائه العربي الأصيل وعن تجربة واقعية صقلت بداوته وجعلتها ميزة خاصة بالأمير، يفتخر بها افتخارا لا نظير له.

في هذه القضية يقف الأمير موقفا منفردا في جهة والآخرون في الجهة المقابلة لذلك استعمل ضمير المخاطب حيث يتوجه إلى الآخر، وبضمير المتكلم حيث ينقل عن نفسه، مفتخرا ويظهر جليا في (لو كنت تعلم) و(تعذرني)، فالشاعر في هذا الموقف لسان الحضارة العربية المهمة تلقى على الشاعر نقل اختيار المشاهد المعبرة عن الحسن وتصفية عناصرها من الشوائب التي قد تشوه جمالها لو تعجلها محط الاستنقاص من قيمتها.

كما قال الأمير عبد القادر:

أو كنتَ أصبحت في الصحراء، مرتقياً بساط رملٍ، به الحصباء كالدُّرر

أو جلتَ في روضةٍ، قد راقَ منظرها بكلّ لونٍ، جميلٍ شيّق عطر

تستنشقنَّ نسيماً، طاب منتَشَقاً يزيد في الروح، لم يمرر على قَذَر

أو كنت في صبح ليلٍ، هاج هاتنه علوت في مرقبٍ. أو جلت بالنظر[113]

113- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 44-45.

هنا تظهر عبقرية شاعرنا حين يرسم مناظر الصحراء صباحا قد سبقه ليل ماطر، فمو الإطار المكاني والزماني الذي قدم فيه الشاعر جمالية الموضوع في أبعاده المختلفة: إنه صباح رق نسيمه، وابتلت رماله ... الخ كما هو موجود في الأبيات المذكورة سابقا.

والمتبحر في أبيات الأمير يجده استعمل الدالة على الروح المكانية والزمانية للمنظر المؤثر في النفس ك: مرتقيا – علوت – جلت بالنظر – رأيت في كل وجهة غير ذلك ما تراه الأعين وترتاح له النفوس وهي الحركة التي ترفع المشاهد إلى قمة الاطمئنان.

الأمير بشاعة خياله وحنكته يجعلك وسط الصحراء دون زيارتك لها تتأهل قدرة الله في خلقه فيتركك ترى الجامد متحركا فيكبك المشهد، السكينة، الهدوء، الأمن والاسترسال.

كذلك بمكننا ان نضيف البنية فهي نفسها الدلالة لا يختلفان في المعنى ,بنية المكان في شعر الأمير عبد القادر تشير إلى كيفية تنظيم الأماكن في القصيدة وترتيبها قد يستخدم الشاعر تسلسلا زمنيا أو مكانيا للأماكن، أو قد يقوم بتصوير المكان بشكل متقطع أو غير متسلسل لإيصال تأثير معين.

قال الأمير عبد القادر في قصيدته شددت عليه شدة هاشمية:

وحلّ بكهفٍ، لا يرام جنابه فمن حلَّ فيه، مثل مَن حلّ في طوى

فإنّا أكاليل الهداية والعلى ومِن نشر علياها، ذوي المجد قد طوى

فنحن لنا دين، ودنيا، تجمّعا ولا فخر، إلا ما لنا يرفع اللّوا

مناقب مختاريّة، قادريّة تسامت وعباسيّة، مجدها احتوى

فإن شئت علماً، تلقني خير عالمٍ وفي الروع، أخباري –غدت– توهن القوى[114]

هذه الأبيات مفادها أن الأمير يفتخر بنفسه والمكان الذي ينتسب إليه إذ قاصده كأنه قصد الوادي المقدس طوى وهو المكان الذي كلم الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وهذا يبين قدسية المكان في شعر الأمير، كما يظهر الأمور الشريفة التي يتحلى بها العائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به في البيت الرابع مختارية، قادرية، عباسية.

كما في شعر الأمير، يتم استخدام بنية المكان بشكل متقن لإيصال الرؤية الشعرية وتقرير المعاني المرادة، قد يستخدم المكان لوصف المشاهد الطبيعية بتفاصيلها المشوقة، مما يساهم في إيجاد صورة غنية وملموسة في أذهان القراء، كما قد يستخدم المكان لإيصال الجوانب العاطفية والروحية في القصائد حيث تم اختيار المكان بعناية ليتناسب مع المشاعر والأفكار المراد إيصالها.

*** صورة المكان في شعر الأمير عبد القادر:**

يشير الأمير عبد القادر في موضوعات كثيرة إلى الوصف الوجداني وفي هذا النوع، مما برز لنا براعته في عرض الصورة من فخر وإلحاح عن المدن الجزائرية ومنها تلمسان فأنجد بنفسه ودخلها مظفرا قائلا:

لبيك تلمسان

إلى الصون مُدّت تلمسان، يداها ولبّت. فهذا حسن صوتِ نِداها

وقد رفعت عنها الإزار، فلج به وبرّد فؤاداً، مِن زلال نَداها

وذا روض خدَّيها، تفتق نَوْره فلا ترضَ مِن زاهي الرياض، عَداها

114– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 54 و55.

ويا طالما عانت نقاب جمالها عداةٌ. وهم – بين الأنام – عداها[115]

– خلد الأمير هذه اللحظات في قصيدته "لبيك تلمسان"، واصفا جمال هذه المدينة ، كفارس من فرسان تلك المدينة، وقد شبهها بحرة من الجزائر في أسلوب كله رقة ودماثة، مما ألح "اشتهرت تلمسان بصبرها على مقاومة فرنسا" بأنها إحدى المدن الكبرى فخرا في الشعر يماثل تماما الشعر الوطني الآن، يمثل بالعادات والتقاليد التي يتمسك بها سكان الوطن للفخر ومن أجلهم ألح الشاعر بمدينة تلمسان لها أهمية كبرى عن تاريخ ومركز ديني وتحدث عن مكانتها الخاصة وعن كثرة خيراتها وجمالها، إن عد التاريخ دقا مرجعيا لرؤى الخطاب الشعري، يدفع هذا الأخير للاتكاء من المعطيات المعرفية والرموز ذات الدلالات المكانية، ففي قصيدة "لبيك تلمسان" يقول:

لأنك أعطيت المفاتيح عنوةً فزدني، أيا عزَّ الجزائر جاها

ووهران، والمرساة، كلا بما حوت غدت حائزاتٍ، من حِماك، مناها[116]

– وهنا يذكر كوهران ومرساها، فوهران تقع في غرب الجزائر العاصمة موطن ذات تاريخ، قاصدا مرساها في العصر الوسيط من قبل الاستعمار الاسباني، وغيرهم من أجل سلب ثرواتها.

– كما قال الأمير عبد القادر في قصيدته "ما في البداوة عيب":

يا عاذراً لامرئٍ، قد هام في الحضر وعاذلاً لمحبّ البدو والقفر

لا تذممنَّ بيوتاً، خفَّ محملُها وتمدحنَّ بيوت الطينِ والحجر [117]

115– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص 38–39.

116– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص 40.

117– المصدر نفسه، ص 44.

يذكر الشاعر في هذين البيتين صورة مكانية متباينة بين بيوت البدو وبيوت الحضارة، من خلال منظور الشاعر المفضل للحياة البدوية، حيث يؤكد على بساطة خيام البدو وحرية تنقلهم وارتباطهم بالطبيعة، مقابلا ذلك بضخامة بيوت الحضارة وصناعية الإنسان وتباعده عن الطبيعة.

في تركيا

أبى القلبُ أن ينسى المعاهد من بُرسا وحبي لها بين الجوانح قد أرسى

أكلّفه سلوانها وهو مغرمٌ فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى[118]

– وفي قصيدته حزن الشاعر ووصف حالته من ألم وفراق بمدينة برسا (تركيا)، وهو متأسف على هجرانها مما ترك أثر طيب وشوق وهو مبين حالته العاطفية والمأساوية التي كان يعيشها الأمير تجاه وطنه والحنين إليه، فحبها وتمكن منها وانغرست في فؤاده من ذكريات.

وجامعها المشهور لم يك مثله به العلم مغروسٌ به كم ترى درسا

وسلطانها أعني الأمير رئيسها به افتخرت برسا فأعظم به رأسا[119]

– ذكر الأمير في هذين البيتين صورة مكانية وهي مدينة "برسا" وجامع المشهور لا يدانيه جامع آخر في هندسة عمرانية وحسن بنائها فقد أكرمه الله تعالى بجميع صفات المحببة افتخارا، ببلدته الجميلة ويسترجع ذكرياته الماضية وأيامه.

في فرنسا (السجن):

118– عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مرجع سابق، ص 120.

119– المرجع نفسه، ص 121.

ألا إن قلبي يوم بنتم وسرتم غدا حائما خلف الظعون يطير

يقاسي مرار الموت من ألم الجوى فما لي إلا أنةٌ وزفير

وحلتم وسرتم لو رحمتم فبينكم لحظي يوم للبلاء عسير[120]

– يعد الأمير في قصيدته "أعرني قلبا" التي أنشدها مصور لحالته بعد أن رأى إخوته وتركوه أسير وحيدا في فرنسا، تبدو نفسية الشاعر تعيسة حزينة التي أنهكتها سنين الأسر والسجن وآلام البعد والفراق بعيدا عن أهله وحالته المأساوية فهو دائم الحنين والشوق لإخوانه الذي تركوه معذبا وشاعرنا كان ينتظر، فهذا الفراق صعب ولم يتهيأ له وكان يظن أن صبره سيكفيه.

– في دمشق:

– اشترى الأمير بستانا في قرية دمر من أحلى مصايف دمشق وفيه فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وصفه مرة قال:

عُجْ بي – فديتك – في أباطح دُمّر ذات الرياض، الزاهرات، النضّر

ذات المياه الجاريات، على الصفا فكأنها، من ماء نهر الكوثر

ذات الجداول، كالأراقم جريها سبحانه! من خالقٍ، ومصوّر [121]

– يستهل الأمير في قصيدته بدعوة مفتوحة لزيارة هذه منطقة التي بدمشق وذكر صورة المكان "دمر" وصف لبقية المظاهر الحسية لهذا الجمال الطبيعي، وهذا النسيم العليل الطيب يفوق في عطره رائحة

120– ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 125.

121– المرجع نفسه، ص128.

المسك والعنبر ولذا أن تكون "دمر" محطة التقاء متناقضات، يذكر عظمة الخالق تتجلى في بديع صنعه وهذا أمست هذه المنطقة بجمالها. وما فيها من لذة روحية معنوية.

– صورة الزمان في شعر الأمير عبد القادر:

يستخدم الأمير عبد القادر الزمان كرمز ومفهوم للتعبير عن مراحل الحياة وتغيراتها.

يصور الأمير عبد القادر الزمان في شعره وبأشكال مختلفة في بعض الأحيان، يصفه بأنه مرور الأيام والسنين، حيث يذكر المراحل المختلفة التي يمر بها الإنسان في حياته، في أحيان أخرى يصور الزمان بأنه قوة قادرة على تغيير كل شيء، حيث يعكس تأثير الزمن على الأشخاص والأماكن.

علاوة على ذلك يستخدم الأمير عبد القادر الزمان للتعبير عن الماضي والذكريات، حيث يستدعي ذكريات الأيام الجميلة واللحظات السعيدة التي مرت بها، يعبر عن الاستذكار والحنين للأيام السابقة ويعكس مشاعر الشوق والحب للماضي.

باختصار يمكننا اعتبار صورة الزمن في شعر الأمير عبد القادر هي مراحل الحياة وتأثير الزمن على الأشخاص والأماكن.

يقول الشاعر الأمير عبد القادر:

نباكرُ الصيدَ أحياناً فنبغته فالصيد منّا – مدى الأوقات – في ذعر[122]

وقال أيضا:

ونحن، فوقَ جياد الخيل، نركضها شليلها، زينة الأكفال والخصر

122- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 45.

نطارد الوحش والغزلانَ، نلحقها على البعاد، وما تنجو من الضمر[123]

وقال أيضا:

لنا المهارى. وما للريم سرعتها بها، وبالخيل، نلنا كل مفتخر

فخيلنا – دائما – للحرب مسرجةٌ من استغاث بنا، بشّره بالظفر[124]

كل هذه الأبيات المذكورة سابقا لها دلالة أو مفادها أنه قد حاكى الزمان وأن الأمير بقوة خياله وإبداعه وحنكته يجعلك وسط المشهد دون ذهابك للمكان نفسه وعيش الزمان والصورة فيتركك ترى الجليد متحرك ويكسبك المشهد أو الصورة خاصة كما بين في البكرة للصيد ممتطين ظهور الجياد فإذا هي صورة متحركة، مليئة بالأصوات وحمحمة الخيول قاصدين الصيد بكل حزم وعزم وأناقة وفروسية وسرعة المباغشة ولم يفت الشاعر على التركيز على الجزئيات التي تصنع خصوصية الصورة.

– تعدد حمولة الأنساق في شعر الأمير عبد القادر

في شعر الأمير عبد القادر، يمكننا ملاحظة وجود حمولات متعددة أهمها: حمولة اجتماعية، دينية ثقافية، سياسية، فكرية، حضارية ...الخ وممكن أن تكون أيضا حمولة أخلاقية، ويعكس الشعر الخاص به هذه الجوانب المتعددة ويعبر عنها بأسلوبه الفني الخاص.

123- المصدر نفسه، ص 47.

124- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 48.

*** حمولة النسق الاجتماعي:**

يعكس شعره قضايا المجتمع والعلاقات بين الأفراد يمكن أن يتناول قضايا مثل الحب والعائلة والمجتمع والبادية والعدالة الاجتماعية أيضا أي تختلف من موضوع إلى آخر له علاقة بالمجتمع.

يقول الأمير عبد القادر في قصيدته ما في البداوة عيب كالآتي:

نحن الملوك، فلا تعدل بنا أحداً وأيّ عيشٍ، لمن قد بات في خفر؟!

لا نحمل الضيم مّمن جار. نتركه وأرضه. وجميع العزِّ، في السفر

وإن أساء علينا الجار عشرته، نبين عنه، بلا ضرٍّ، ولا ضَرَر

نبيت، نار القرى، تبدو لطارقنا فيها المداواة، من جوعٍ ومن خَصَر

عدوّنا، ما له ملجا ولا وزرٌ وعندنا عاديات السبق، والظفر[125]

إن الأمير عبد القادر يظهر في هذه الأبيات كغيرها، قائد يظهر النخوة الجزائرية خاصة والعربية الإسلامية عامة إذ يعلي بأمته ولا يعدلها باقي البشر إذا أبت أخلاق هذه الأمة شرفا أن تحمل الحقد بين أضلعها وإن اعتدى عليها فإنها لا تقابل السيئة إلا بالحسنة.

امتثالا لتوجيهات الله سبحانه وتعالى وأن خيامها نارها لا تنطفئ هداية لكل سائر أو سار وهذه هي الكرامة والعزة والشهامة فهي المنجي والملجأ.

125- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 48-49.

كل هذا يبين مدى أهمية المحيط أو المجتمع الذي نشأ فيه الأمير وكم يعطيه قيمة ويظهره مقاما مرتفعا ذو شأن ومكارم وسمعة مع ذكره أهم العادات والهوايات المتعارف عليها التي تزيدهم فخرا وشجاعة وقوة.

*** حمولة النسق الحضاري:**

يمكن لشعر الأمير عبد القادر أن يعكس التأثير الثقافي والحضاري لمجتمعه وعصره، قد يستخدم الأمير مفاهيم ثقافية للتعبير عن الهوية الثقافية والتراث الحضاري لشعبه من دون أن نهمش التقاليد كل هذه المفاهيم للتعبير عن أفكاره ومشاعره ويمكن أن تتضمن ذلك باستخدام الأساطير والأمثال والتعابير الشعبية وحتى الحضارات العربية والإسلامية.

– لم تعمر الدولة التي أسسها الأمير عبد القادر كثيرا في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ولكن نال الاحترام والاعتبار الكبيرين من قبل الدولة العثمانية، نظرا لمعاداته للاستعمار والذي لم يخضع للعروض المغرية ضده وكان الأمير عبد القادر يحترم الدولة العثمانية من منطلق شرعي فهي كانت تمثل دولة الخلافة الإسلامية، ورغم أن دولته لم تكن تابعة إداريا كدولة الخلافة ولكنه كان تابعا لها روحيا حيث كان يكن لسلاطين الدولة العثمانية كل الاحترام والتقدير، ونظم الأمير قصيدة في مدح السلطان عبد المجيد عام 1883 والتي كتبها فور وصوله إلى مدينة بورصة التركية وكانت لها ميول حضاري، أي في الأبيات المختارة في قصيدة آمن من حمامة مكة كما دلالة حضارية وثقافية لقوله:

عبد المجيد، حوى مجداً وعزَّ علًى وجلَّ قدراً. كما قد عمَّ أنوالا

كهف الخلافة. كافيها. وكافلها وما عهدنا له في القرن، أمثالا

يا ربّ!! فاشددّ على الأعداءِ وطأته واحمِ حماه وزده، منك، إجلالا

وأظهرن حزبه، في كل متَّجهٍ وسددن منه، أقوالاً وأفعالا

وابسط يديه، على الغبراء، قاطبة وذلّلن كلّ من في الأرض، إذلالا!!

فالمسلمون، بأرض الغرب، شاخصةٌ أبصارهم، نحوه، يرجون إقبالا

كم ساهرٍ، يرتجى نوماً، بطلعته وحائرٍ، يرتجي للحزن تسهالا

فرع الخلائف. وابن الأكرمين، ومن شدّوا عرى الدين، أركانا وأطلالا

كم أزمة فرجوا؟! كم غمة كشفوا؟! كم فكّكوا، عن رقاب الخلق، أغلالا

هم رحمة لبني الإيمان، قاطبةً هم الوقاية، أسواءً وأهوالا

أنصار دين النبي، من بعد غيبته في نصره، بذلوا نفساً، وأموالا

قد خصّهم ربهم، في خير منقبةٍ ما خصّ صحباً بها، قبلا، ولا آلا

كم حاول الصحب، والآل الكرام لها واللّه، يختصُّ، من قد شاء، أفضالا

ما زال، في كل عصر، منهم خلفٌ يحمي الشريعة، قوّالا وفعّالا

حتى أتى دهرنا، في خير منتخب من آل عثمان، أملاكاً وأقيالا[126]

في هذه الأبيات استهل الشاعر قصيدته الطويلة بشكر الله سبحانه وتعالى بعدما سطعت عليه شمس الحرية وتوج صبره بوصوله إلى دار الخلافة الإسلامية، إذا فتلك الأبيات هي مدح للسلطان العثماني

126- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 157- 159.(ينظر)

عبد المجيد الذي انتصر على أعداء الإسلام بعدله وإنصافه مما جعل المسلمين يرون فيه الرجل الصالح ومنبت الحضارة العربية الإسلامية والخلافة العثمانية الدالة على وجود حضارة أو نسق حضاري في أبيات القصيدة من خلال مدحه وإعطاءه حق ما فعل فقد نظم الحياة وضبط الجيش وسهل كل ما هو صعب وذلك بفضل الله ثم إيمانه كما دل على الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية والبقاء عليها.

كما أن القصيدة تضمنت مجموعة من الصور البيانية التي أعطت القصيدة رونقا واتساقا وانسجاما زركشته المحسنات البديعية من طباق وترادف مفاده سعة خيال الأمير عبد القادر الجزائري.

كما توجد دلالة نسق حضاري في أبيات من قصيدة "بنا افتخر الزمان" حيث قال الشاعر الأمير عبد القادر:

ورثنا سؤدداً، للعرب يبقى وما تبقى السماء، ولا الجبال

فبالجدّ القديم علت قريش ومنا – فوق ذا – طابت فعال

وكان لنا – دوام الدهر – ذكرٌ بذا نطق الكتاب، ولا يزال

ومنّا لم يزل في كل عصرٍ رجالٌ، للرجال همُ الرجال

لقد شادوا المؤسّس من قديم بهم ترقى المكارم والخصال

لهم همٌ، سمت فوقَ الثريا حماة الدين، دأبهم النضال

لهم لسنُ العلوم، لها احتجاج وبيضٌ، ما يثّلمها النزال[127]

127- ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 36-37.

الأبيات الآتية تبين لنا أن الأمير عبد القادر بعزة نفسه وسمو أخلاقه وإخلاصه لربه ثم وطنه وانتمائه للأمة الإسلامية جعلته الرجل المفتخر بما اكتسبه من أجداده والسلف الصالح من شيم العروبة وسماحة الإسلام وما خلفوه من علوم ومعارف ما تزال قائمة ينطق بها فم الزمان كل حين دون أن ينسى نصرتهم لكل مظلوم، مد يد النجدة والانتصار لأنه على درب شعار أمته الجزائرية خاصة والإسلامية عامة "متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" وهذا ما دفعهم لرفض الاحتلال بكل أشكاله وأساليبه الشيطانية الداعية إلى تهديم القيم والمبادئ.

*** الحمولة السياسية:**

وقَدْ سِرْتُ فِيهِمْ سِيرَةٌ عُمَرِيّةً وَأسقَيْتُ ظَامِيهَا الهَدايَةَ فَارْتَوَى

وَإِنِي لأَرْجُو أَنْ أكون أَنا الذِي يُنِيرُ الدَيَاجِي بالسّنَا بَعْدَ مَا لَوَى[128]

يفتخر الأمير بقيادته الحكيمة، وسياسته العادلة بين الرعية هذه السياسة العصرية التي يتمنى أن تكون الضوء الذي ينير دياجي الظلم والجهل، بعد أن أطفئت أنوار الهداية والإيمان.

وَمِنْ عَجَبٍ صَبْرِي لِكُل كَرِيهَةٍ وَحَمْلي أَثْقَالاً تُجَلُّ عَنِ العَدَّ [129]

وقال أيضا:

الجود والعلم النفيس وَإِنَّنِي لأَنَا الصَبُورُ لَدَى اشْتِدَادِ الباسِ[130]

128- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص 196.

129- المرجع نفسه، ص197.

130- المرجع نفسه، ص 197.

وهنا يذكر الشاعر صبره مع أنه يحمل أثقالا وأمور ومسؤوليات تجل عن أن تعد وتحصى، وفي ذلك الفخر بالإرادة والعزيمة وعدم التواني والتخاذل وفخور بصبره عند اشتداد الخطوب والأزمات في حروبه ومعاركه.

*** الحمولة الدينية:**

أبونا رسول اللّه خيرُ الورى طرّا فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

ولانا غدا ديناً وفرضاً محتّما على كل ذي لبّ به يأمن الغدرا [131]

وقف الأمير عبد القادر شعره في فخر ومجد عالي النسب ومدحه لرسول الله، يمثل السند والرجاء خير من متاع الدنيا زائل وهو يمدح رسول الله ويفاضل بين الفخر والعلم.

وذا وأبيك الفخر لا فخر من غدا وقد ملك الدنيا وساعده النصر[132]

يحاول الأمير أن يحقق في إسناده درجة كمال بهذه الصفات الكريمة التي يقف أمامها.

*** الحمولة الفكرية:**

إذا ما الناس ترغب في كنوز فبنت العم مكتنزي وزادي[133]

يطالعنا الأمير في إحدى تعبيراته الشعرية بطبيعة هذا الحب الطاهر المفعم بالإيثار ونزعة التضحية فلا مال الدنيا وزخرفها يصرفه عن حبه هذا فهو كنزه ومراده وغناءه ولا يبغى عنه بديلا قيمة الإخلاص والوفاء.

131- عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مرجع سابق، ص 81.

132- عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مرجع سابق، ص 103.

133- المرجع نفسه، ص 105

يا من غدا عابدا لفكرة فقف فأنت يا غافلا على شفا جوف

جعلت عقلك هاديا ونور هدى أضلك العقل أيقن أنت في تلف[134]

– يذكر الشاعر في هذه الابيات يوم القيامة بأن الموت هو الذي يمد حياة الانسان و أورد هنا روحية فكرية توجه الانسان إلى إستدعاء بالنصر و الحق.

134- المرجع نفسه، ص 181.

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف في جنان الشعر الأميري وما داخله من أبعاد حضارية وعلاقات إنسانية، وبعد مساءلة قصائد ديوانه، توصلنا إلى بعض النتائج كاستنتاج لكل ما سبق من الفصلين نذكر منهما ما يلي:

– لقد أحدث ما أحدث الأمير عبد القادر في الجزائر وحولها من أوضاع إلى أخرى وأثر بها عبر أجيال وأجيال مع ترك بصمته حيث نظم الحياة وضبط الجيش وسهل كل ما هو صعب تلك الفترة.

– رجل صالح عربي أصيل متمسك بربه، يمد يد النجدة والاستنصار، لا يحب الظلم، عادل ماشيا على شعار أمته الجزائرية والإسلامية ألا وهو: "متى استبعدتهم النساء وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

– التضحيات الكبرى التي قام بها لأجل الجزائر ومحافظته على هويته العربية والإسلامية ومبادئ أمته والبقاء عليها مع قيمته ومقامه الذي يرفعه في كل العالم.

– إن شعر الأمير عبد القادر يتميز برموز ويتعلق بالمعاني التي يحملها في قصائده ويعتمد ذلك على سياق القصيدة وما يرغب في التعبير عنه.

– تقديم الصورة الجميلة والواقعية المشرفة عن منبته وأصله المتميز بالخصال الإنسانية والجمالية التي تفتقدها الحياة الحاضرة اليوم.

– تصوير الزمان بأشكال مختلفة بذكر كل المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته كما أنه ذو قوة قادرة على التأثير ويعكس ذلك على الأشخاص والأماكن في شعره، كما أنه بشساعة خياله وحنكته

يجعل الصورة تصل إلى ذهن القارئ دون رؤيتها، ويتركك ترى الجامد متحركا فيكسبك المشهد ويصوره تصويرا لإيصال تأثير معين على حسب كل مشهد.

– تنظيم الأماكن في القصيدة وترتيبها مستعملا تسلسلا زمنيا ومكانيا باستخدام متقن لإيصال الصورة الشعرية والجوانب العاطفية والروحية في القصائد حيث يتم اختيار المكان بعناية ليتناسب مع أفكاره.

– له أسلوب فني خاص يعكس به عدة جوانب متعددة في شعره أما أسلوبه في عرض الفكرة واضح نقي ومشرف، قصائده تتضمن مجموعة من الصور البيانية التي تعطي القصيدة رونقا وانسجاما زركشته المحسنات البديعية من طباق وترادف.

في النهاية يمكننا القول والتأكد أن هذا الموضوع أو البحث بصفة عامة كان مثيرا للاهتمام ومفيدا تعلمنا الكثير منه واكتسبنا رؤى جديدة تساعدنا بشكل أفضل كما أننا ندعوا إلى مزيد من البحث والاستكشاف في هذا الموضوع لتعميق المعرفة والفهم وللوصول إلى ما هو أبعد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

رواية ورش عن نافع

اولا: المصادر والمراجع:

1- أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

2- الأمير عبد القادر – مذكرات أدبية – سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق محفوظ سيمائي د. محمد صالح حبون، أخرج أحاديث الطبعة: عبد المجيد بيرم.

3- الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، تحقيق وشرح ممدوح حقي، دار الترجمة والنشر، بيروت، ط 3، دار اليقظة العربية.

4- الأميرة البديعة، الحسيني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، دار الوعي للنشر والتوزيع الرويبة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ-2012م.

5- الحاج مصطفى التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز.

6- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائر المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني.

7- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتحقيق وتقديم أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر.

8- زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مشكلات فلسفية، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي.

9- زكرياء الصيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ديوان المطبوعات الجامعية، رقم النشر: 8/2418

10- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع.

12- صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة.

13- طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب القاهرة، الطبعة الأولى.

14- عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر، جائـزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري اغسطس 2000.

15- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر الجزائري وبناء الأمة الجزائرية، من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، جميع الحقوق محفوظة لمنشورات دحلب، 18 شارع أوزي حيدرة الجزائر.

16- علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة بيروت.

17-عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية.

18- عمر بن قينة، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد، الشاعر، المصور، الذي دوخ جنرالات فرنسا ودوخته أم البنين، حقوق النشر محفوظة لمنشورات تالة، الأبيار، الجزائر، 2010، رقم النشر 202/2010.

19- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، لبنان، 1983.

20- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا، شاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر، رقم النشر 1065/83.

21- مسعود المجاهد الجزائري، تاريخ الجزائر، صدرت عن مجلس نقابة المحامين النظاميين لعمان من آب سنة 1961م.

22- نزار أباظة، كتاب الأمير عبد القادر، العالم، المجاهد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، 1414هـ-1994م.

23- ياسين الناصير، رواية المكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

24- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

ثانيا: المعاجم:

25- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، 1119،كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع.

26- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004.

ثالثا: المجلات:

27- دهوم عبد المجيد، مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات مصنفة "C"، المجلد 14، العدد 1، جوان 2023، جامعة تيسمسيلت، الجزائر.

28- ريان بن عروسي، أيوب شرقي، مجلة الاستيعاب، حياة الأمير عبد القادر الصوفية واثاره النثرية، جامعة حمة لخضر الوادي، جامعة البليدة علي لونسي المجلد 04، ص116

29- شكشاك فاطمة، مجلة لجامعة الحاج لخضر، باتنة 01، تاريخ النشر: 2019/12/06.

30- م.م حازم كامل كيطان، مجلة جماليات المكان في مجموعة الأحزان السومرية

. university of this journal of humanties science

31- مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة.

32- مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر 2017.

33- ملحة بنت معلث، بن رشاد السحيمي، مجلة بحوث كلية الآداب.

34- هجيرة نقاز، مجلة روافد، المجلد رقم 06، عدد خاص، 2022.

رابعا: المحاضرات

35- محاضرات في تاريخ الجزائر العام، من إعداد ياسر فركوس، السنة الجامعية: 2018-2019.

الفهرس

شكر وعرفان .....

إهداء.....

إهداء.....

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: حياة الأمير عبد القادر 1

– أوضاع الجزائر قبل مولد الأمير عبد القادر 2

– أواخر العهد العثماني:.....3

– بداية الاستعمار الفرنسي : 5

– الأمير عبد القادر سيرة قائد أمة 7

* المولد والنشأة.....7

هواية الفروسية وحب الشعر عند الأمير عبد القادر.....11

* الشكل والملامح 16

* دور المحيط القبلي في نشأته: 17

* وفاته 23

– بعض الملابسات في حياة الأمير عبد القادر 25

* في عيون المستشرقين.....25

أولا: مؤلفاته وكتبه 30

* المكانة العالمية والعلمية 33

الفصل الثاني: الإشارات في شعر الأمير عبد القادر..... 35
- مفهوم البنية:..... 36
مفهوم المكان:..... 38
مفهوم النسق: 41
- مفهوم النسق الاجتماعي:..... 46
- شعر الأمير عبد القادر والإشارات المكانية..... 47
* دلالة المكان في شعر الأمير عبد القادر 47
* صورة المكان في شعر الأمير عبد القادر:..... 51
- صورة الزمان في شعر الأمير عبد القادر:..... 55
- تعدد حمولة الأنساق في شعر الأمير عبد القادر..... 56
* حمولة النسق الاجتماعي: 57
* حمولة النسق الحضاري: 58
* الحمولة السياسية:..... 61
* الحمولة الدينية: 62
* الحمولة الفكرية: 62
الخاتمة 64
قائمة المصادر والمراجع 67

الملخص :

عالج موضوعنا بنية المكان والنسق الاجتماعي في شعر الأمير عبد القادر فأهم عنصر في هذا البحث وأساسه هي شخصية الأمير عبد القادر، وهو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية لبنية المكان والنسق الاجتماعي في شعره، شمل هذا البحث فصلين يحتويان على عدة مفاهيم، أوله نظري يتخصص في حياة الأمير عبد القادر ومكانته العالمية، وأثره عبر أجيال وأجيال، أما الثاني فقد كان تطبيقيا تطرقنا فيه إلى الإشارات المكانية والزمانية في شعر الأمير عبد القادر وأهم الحمولات مع تعددها، وفي النهاية اختتمنا بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية :المكان ,البنية ,النسق , النسق الاجتماعي ,الامير عبد القادر

Résumé :

Notre sujet portait sur la structure du lieu et de l'ordre social dans la poésie du prince Abdul Qadir، l'élément le plus important de cette recherche et sa base est la personnalité du prince Abdul Qadir، qui est une étude descriptive et analytique de la structure du lieu et de l'ordre social dans sa poésie، cette recherche comprenait deux chapitres contenant plusieurs concepts، le premier est un spécialiste théorique de la vie du prince Abdul Qadir et de sa position globale، et son impact sur les générations et les générations، et la seconde était une application dans laquelle nous avons abordé les références spatiales et temporelles dans la poésie du prince Abdul Qadir et les charges les plus importantes avec leur multiplicité، et à la fin nous avons conclu avec un sceau était le résultat des résultats les plus importants que nous avons atteints.

Summary :

Our topic dealt with the structure of place and social order in the poetry of Prince Abdul Qadir، the most important element in this research and its basis is the personality of Prince Abdul Qadir، which is a descriptive and analytical study of the structure of the place and social order in his poetry، this research included two chapters containing several concepts، the first is a theoretical specialist in the life of Prince Abdul Qadir and his global position، and his impact across generations and generations، and the second was an application in which we touched on the spatial and temporal references in the poetry of Prince Abdul Qadir and the most important loads with their multiplicity، and in the end we concluded with a seal was the outcome of the most important results we reached.